شرح السنة

للإمام المزني

تأليف

الشيخ الأستاذ الدكتور
طلعت زهران

منارة الكتب
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٥٢٠٣

منارة الكتب
للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية - القاهرة

شارع الدرديري - شارع البيطار- خلف الجامع الأزهر
محمول: ٠١٢٠٥٥٤٠٤٢٢(٠٠٢) – ٠١١٤١١٤٦٣٦٦ (٠٠٢)
E-mail: Manart-aslam@hotmail.com

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾
آل عمران: ١٠٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾
الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أَمَّا بَعْدَ:

فهذه تعليقات نافعات مثمرات -بإذن الله- على كتيب "شرح السنة" للإمام المزني -رحمه لله- وهو متن عظيم، جامع، بَيَّنَ فيه منهج أهل السنة والجماعة، ورد عن نفسه اتهامه بفرية القول بخلق القرآن.

وكنت قد تعرضت لشرحه لنخبة من طلبة العلم، وظننت أن ذلك الشرح كان مفيدا مثمرا، ورغب إلي منهم من لا يسعني رد طلبه أن نفرغ هذا الشرح، ونعتني بتخريج أحاديثه وعزو آياته وتفصيل مسائل كثيرة فيه، فتوكلت على المولى القدير، وأخرجته بالصورة التالية، راجيا الله أن يجعل فيه النفع، وعسى أن يكون مقررا يتم تدريسه لطلاب العلم، تظهر فيه قواعد وأسس المنهج السلفي.

وما كان من صواب فمن الله، وما كان غير ذلك، من خطأ أو تقصير فمن نفسي والشيطان - أعاذنا الله منه. وأسأل الله تعالى الدلالة على الحق والتوفيق إليه ومغفرة الزلل.

طلعت زهران ١٣ شعبان ١٤٤٠

التعريف بالإمام المزني رحمه الله:

هو ـ كما قال عنه الإمام الذهبي:

«الإِمَامُ الفَقِيْهُ أَبُو إِبْرَاهِيْمَ إِسْمَاعِيْلُ، بنُ يَحْيَى بنِ إِسْمَاعِيْلَ بنِ عَمْرِو بنِ مُسْلِمٍ المُزَنِيُّ المِصْرِيُّ تِلْمِيْذُ الشَّافِعِيِّ. مَوْلِدُهُ سنة خمس وسبعين ومائة.

حَدَّثَ عَنْ: الشَّافِعِيِّ، وَعَنْ عَلِيِّ بنِ مَعْبَدِ بنِ شَدَّادٍ، وَنُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ وَغَيْرِهِم.

وَهُوَ قَلِيْلُ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَأْساً فِي الفِقْهِ.

وامتلأَتِ البِلاَدُ بـ"مختصَرِهِ" فِي الفِقْهِ، وَشرحَهُ عِدَّةٌ مِنَ الكِبَارِ بِحَيْثُ يُقَالُ: كَانَتِ البِكْرُ يَكُوْنُ فِي جهَازِهَا نُسْخَةٌ بـ"مُخْتَصرِ" المُزَنِيِّ.

وَكَانَ زَاهَداً عَالِماً مناظراً غَوَّاصاً عَلَى المَعَانِي الدَّقِيقَةِ صَنَّفَ كُتُباً كَثِيْرَةً: الجَامِعُ الكَبِيْرُ، وَالجَامِعُ الصَّغِيْرُ، والمنثور، والمسائل المعتبرة، والترغيب فِي العِلْمِ، وَكِتَابُ الوَثَائِقِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: المُزَنِيُّ نَاصرُ مَذْهبِي.

قُلْتُ [أي الذهبي]: بَلَغنَا أَنَّ المُزَنِيَّ كَانَ إذا فرغ من تبييض مسألة وأودعها "مُخْتَصرَهُ" صَلَّى للهِ رَكْعَتَيْنِ. وقَالَ عَمْرو بنَ عُثْمَانَ المَكِّيَّ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنَ المُتَعَبِّدينَ فِي كَثْرَةِ مَنْ لَقِيْتُ مِنْهُم أَشَدَّ اجْتِهَاداً مِنَ المُزَنِيِّ، وَلاَ أَدومَ عَلَى العِبَادَةِ مِنْهُ وَمَا رَأَيْتُ أَحداً أَشَدَّ تعظِيْماً لِلعلمِ، وَأَهلِهِ مِنْهُ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَضْيِيقاً عَلَى نَفْسِهِ فِي الوَرَعِ، وَأَوْسَعِهُ فِي ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَكَانَ يَقُوْلُ: أَنَا خُلُقٌ مِنْ أَخْلاَقِ الشَّافِعِيِّ.

قُلْتُ: وَبَلَغَنَا أَنَّ المُزَنِيَّ، رَحِمَهُ اللهُ، كَانَ مجاب الدعوة ذا زهد وَتَأَلُّهٍ، أَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ العُلَمَاءِ، وَبِهِ انتشَرَ مَذْهَبُ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي الآفَاقِ.

يُقَالُ: كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ صَلاَةُ الجَمَاعَةِ، صَلَّى تِلْكَ الصَّلاَةَ خَمْساً وَعِشْرِيْنَ مَرَّةً.

وَكَانَ يُغَسِّلُ المَوْتَى تَعَبُّداً وَاحتسَاباً، وَهُوَ القَائِلُ: تعَانَيْتُ غَسْلَ المَوْتَى لِيَرِقَّ قَلْبِي فَصَارَ لِي عَادَةً، وَهُوَ الَّذِي غَسَّلَ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ.

تُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ، لِسِتٍّ بَقِيْنَ مِنْهُ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ وَمائَتَيْنِ وَلَهُ تِسْعٌ، وَثَمَانُوْنَ سَنَةً»(١).

وهذا المتن الذي نشرحه متن قصير لكنه يجمع أشياء كثيرة وفوائد جمة.

سبب تأليفه:

قَالَ عَليّ بن عبد الله الْحلْوانِي:

«كنت بطرابلس الْمغرب فَذكرت أَنا وَأَصْحَاب لنا السّنة إِلَى أَن ذكرنَا أَبَا إِبْرَاهِيم الْمُزنِيّ، رَحمَه الله، فَقَالَ بعض أَصْحَابنَا: بَلغنِي أَنه كَانَ يتَكَلَّم فِي الْقُرْآن وَيقف عِنْده!!

وَذكر آخر أَنه يَقُوله إِلَى ان اجْتمع مَعنا قوم آخَرُونَ، فغم النَّاس ذَلِك غما شَدِيدا. فكتبنا إِلَيْهِ كتابا نُرِيد أَن نستعلم مِنْهُ يكْتب إِلَيْنَا شرح السّنة فِي الْقدر والإرجاء وَالْقُرْآن والبعث والنشور والموازين وَفِي النّظر».

---

١) سير أعلام النبلاء [١٠/١٣٤ترجمة: ٢١٤٣]

انظر: أهل العلم يجلسون يتدارسون السنة، فمجالسهم مجالس مباركة، يفعلون ذلك طمعا أن تتنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهُ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[٢].

فهم يتذاكرون العلم فيذكرون أئمته، ويجتهدون في تبرئتهم مما يتهمهم به أهل التشغيب.

ولما كان الوقت الذي ازدهر فيه المزني هو وقت علو شأن المعتزلة –الجهمية، الذين دعوا إلى مذهبهم الباطل بنفي صفات الرب سبحانه، والقول بخلق القرآن، واشتدت شوكتهم حينما استطاعوا إغراء الخليفة العباسي المأمون، وحجبوا عنه كل ما يخالف فكرهم، ووقع في يد أحد كبار مجرميهم، وهو أحمد بن ابي دؤاد، فغرر به ففتنه وأضله وضمه إلى صفوفهم، ومن ثم راح يناصر المعتزلة بكل ما لديه من قوة وسلطان، وأراد إجبار كافة الناس على اعتناق المذهب المعتزلي، ورَغَّب الناس فيه ورَهَّبَهم من تركه.

---

٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٣٨ – (٢٦٩٩) .

وكان من شؤم ذلك أن بدأ انتهاء زمن القرون الخيرية الثلاثة[٣]، وأفول نجمها، وعلا قرن البدع وأهلها، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

ولقي المسلمون عنتا شديدا، وفُتن كثير من الناس، وأوذي الكثير من العلماء الأجلاء، وعلى رأسهم الإمام أحمد رحمه الله، وتسمى هذه الفتنة بمحنة خلق القرآن.

وصار الناس ثلاث طوائف:

أهل السنة: وكانوا على صراط مستقيم في هذه المسألة، كغيرها من المسائل، فيعتقدون أن القرآن كلام الله-تعالى- وأنه منزل منه-جل وعلا- ليس بمخلوق؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته.

والمعتزلة الجهمية: فقد أتوا بقول خالفوا فيه من سبقهم، وشاقوا المسلمين، وخالفوا إجماعهم، وكان لهؤلاء الجهمية الدولة، فامتحنوا بذلك علماء الأمة، وجعلوا القول بخلق القرآن دليل الإيمان، وترك القول به دليلا على عدمه، وعرضوا العلماء لأصناف التعذيب وأنواع التهديد والتنكيل ما لم يتعرض لمثله أحد، وقتلوا من قتلوا منهم، فقد دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ولكنه مات قبل أن يناظر الإمام أحمد، وعندما تولى الخليفة المعتصم سجن الإمام أحمد قرابة ثلاثين شهرًا، وضرب ظهره، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات وقطع الأرزاق ورد الشهادة.

---

٣) عَنْ عَبْدِ اللَّه، رضي اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّم قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُم". أخرجه البخاري ٢٦٥٢ ومسلم ٢٥٣٣

وأما الواقفة: فقالوا: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَا نَقُولُ: مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَقد ذمهم من لَا يُحْصى عَددهمْ من الْأَئِمَّة، كَالْإِمَامِ أَحْمد وَالشَّافِعِيّ وَإِسْحَاق بن رَاهُويَه وَغَيرهم[٤]، وَقَالَ عبد الله بن الإِمَام أَحْمد فِي السّنة ص(٣٦) : «سَمِعت أبي سُئِلَ عَن الواقفة، فَقَالَ: من كَانَ مِنْهُم يُخَاصِم وَيُعرَف بالْكَلَام فَهُوَ جهمي، وَمن لم يكن يُعرَف بالْكَلَام يُجانب حَتَّى يَرجِع، وَمن لم يكن لَهُ علم يَسْأَلُ حتَّى يتَعَلَّم».

وَسمعت أبي مَرَّةً أُخْرَى: «هم شَرّ من الْجَهْمِية»[٥]

وقد اتُّهِم الإمام المزني رحمه الله بأنه من هؤلاء الواقفة، وهذا ظلم شديد له.

فأرسل إليه نفر ممن يعرفون منهجه ويثقون فيه، طالبين منه أن يبين المنهج الصحيح في هذه المسائل، فَكتب الإمام المزني رحمه الله:

«بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، عصمنا الله وَإِيَّاكُم بالتقوى، ووفقنا وَإِيَّاكُم لموافقة الْهدى. أما بعد:

---

٤) مَجْمُوع الْفَتَاوى لابْن تَيْمية ١٢/ ٤٢٠"

٥) وانْظُر: ما نَقله الْآجري فِي الشَّرِيعَة تَحْقِيق حَامد الفقي ص"٨٧-٨٨ " من أَقْوال الْعلماء فيهم.
انظر: السنة / لعبد الله بن أحمد ص: ٣٦. ويقولَ في كتاب السنة له ص: ٥١، ضمن مجموعة شذرات البلاتين: " وهم شر الأصناف وأخبثها، وقد عقد الإمام الدارمي باباً في الاحتجاج عليهم في كتابه الردّ على الجهمية ص: ١٠٢-١٠٥ ، وقد نقل الإمام اللالكائي في (شرح اعتقاد أصول أهل السنّة ص: ٣٢١) عن جماعة من أهل العلم كابن الماجشون وغيره أنهم قالوا: من وقف في القرآن بالشكّ فهو كافر.

فَإِنَّك، أصلحك الله، سَأَلتنِي أَن أوضح لَك من السّنة أمرا تصبر نَفسك على التَّمَسُّك بِهِ، وتدرأ بِهِ عَنْك شبه الْأَقَاوِيل، وزيغ محدثات الضَّالّين، وَقد شرحت لَك منهاجا موضحا منيرا لم آل نَفسِي وَإِيَّاك فِيهِ نصحا بدأت فِيهِ بِحَمْد الله ذِي الرشد والتسديد».

بدأ بالبسملة؛ لأن السنة أن تبدأ المكتوبات ببسم الله الرحمن الرحيم.

فالقرآن مكتوب، وكل سورة ـ باستثناء سورة التوبة «براءة» ـ تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم، كان في مكاتباته يبدأ بالبسملة؛ فقد أرسل إلى هرقل:«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ.. »[٦].

و« بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إلى كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ مَلِكِ فَارِسٍ

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسٍ، سَلامُ اللهِ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى»[٧].

فأحسن المزني في البدء بذلك.

ثم دعا فقال: « عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالتَّقْوَى »

---

٦) متفق عليه: البخاري ٧ و ٢٩٤١ و ٤٥٥٣ ومسلم ١٧٧٣

٧) تاريخ الطبري (٢/ ٢٩٦) ، وحسنه الألباني في فقه السيرة ص٣٥٩

فتقوى الله عز وجل هي مرادف الإحسان، وهي أعلى المنازل والدرجات، فالجنة دار المتقين، فكانت دعوة طيبة جدًّا، لأن من تزود بالتقوى، عصمه الله عز وجل، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وذلك أن كل سفر لا بد فيه من زاد يناسبه، والسفر إلى الآخرة زاده تقوى الله والعمل بطاعته، والسير على النهج القويم.

فنسأل الله أن يشملنا ذلك الدعاء فهو قد قال: عصمنا الله وإياكم بالتقوى ونحن نقول اللّٰهُمَّ اعصمنا جميعا والمسلمين بالتقوى.

ثم قال: «ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى»

دعا بموافقة الهدى، والهدى هو الكتاب والسنة، ومن وافق الكتاب والسنة واتبعهما فهو الفائز لا محالة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى اللّٰهُ عليه وسلَّم، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى »[٨].

وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَلِيُّ، سَلِ اللَّهَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ»[٩].

قال الشاعر:

ولقدْ خشيتُ بأن من تبع الهدى   سكن الجنان مع النبي محمدِ

---

٨) صحيح مسلم ٢٧٢١

٩) صحيح النسائي ٥٢١٠

فنعوذ بالله من الزيغ بعد الهدى.

ثم قال: «**أما بعد**» وهذا هو الغالب في كلام العرب وفي السُّنَّة؛ لأن البعض حين يتكلم ويكتب يقول: ثم أما بعد، وهو خلاف السنة.

قال: «**فَإِنَّك أصلحك الله سَأَلتنِي أَن أوضح لَك من السّنة أمرا تصبر نَفسك على التَّمَسُّك بِهِ، وتدرأ بِهِ عَنْك شبه الْأَقَاوِيل، وزيغ محدثات الضَّالّين:..** »

فدعا بالصلاح قائلا: سألتني أمرا تواظب وتثابر على التمسك به، أي أن الصلاح من هدي أئمة الهدى، الذين من لم يتبع سبيلهم، فهو في شقاق، يوله الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيرا.

فطريق الهدى المستقيم تدرأ به عنك شبه الأقاويل، التي يبذل أهل الضلال جهدهم، ويجلبون بخيلهم ورجلهم، لنشرها في الناس؛ ليوردوهم موارد الضلالة، ويصرفوهم عن الهدى المستبين، والشبهة تتسلل إلى القلوب، ولذا لا تدرأ الشبهة إلا بالسنة الواضحة في أقوال العلماء الراسخين. فإن اعتصمت بهدي السلف نجوت من الميل إلى زيغ محدثات الضالين.

قال: «**وَقد شرحتُ لَك منهاجا موضحا منيرا لم آل نَفسِي وَإِيَّاك فِيهِ نصحا بدأت فِيهِ بِحَمْد الله ذِي الرشد والتسديد**»

يعني الكتابة التي ستصلك الآن هي منهاج مختصر واضح، لم أقصر فيه في نصح نفسي وإياك؛ لأن الدين النصيحة[١٠].

وأعظم النصيحة ما كانت متعلقة بتوحيد الله تبارك وتعالى.

وبدأت فيه بحمد الله؛ لأن أعظم الكلام وأفضله ما بدأ بالحمد لله، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم، ما بدأ كلاما له إلا بالحمد لله، سواء بصيغة: الحمد لله، أو بصيغة: إن الحمد لله.

ومعنى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ): الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه، بما أنعم على عباده من النِّعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وَغذَاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبَّههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدِّية إلى دوام الخلود في دار المُقام في النعيم المقيم. فلربِّنا الحمدُ على ذلك كله أولا وآخرًا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى أَفْضَلَ مِنَ الَّذِي أَخَذَ »[١١].

١٠ عَنْ تَميم الدَّاريِّ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: " الدِّينُ النَّصيحَةُ " ، فَقُلْنا: لمَن يا رسُولَ الله؟ قَالَ: " لله ولكتابه ولرسوله ولأَئمَّة الْمسْلمين وعامَّتهم". صحيح مسلم ٥٥

١١ حسن . صحيح ابن ماجه ٣٨٠٥

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[١٢].

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ الشُّكْرَ أَعَمُّ من الحمد، لأنه باللسان وبالجوارح وَالْقَلْبِ، وَالْحَمْدُ إِنَّمَا يَكُونُ بِاللِّسَانِ خَاصَّةً.

وَقِيلَ: الْحَمْدُ أَعَمُّ، لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى الشُّكْرِ وَمَعْنَى الْمَدْحِ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ، لِأَنَّ الْحَمْدَ يُوضَعُ مَوْضِعَ الشُّكْرِ وَلَا يُوضَعُ الشُّكْرُ مَوْضِعَ الْحَمْدِ.

الحمد حمدا بالقلب واللسان وهو أعم من الشكر؛ لأنه يتناول الحمد على النعم وعلى المصائب.

فالإنسان يحمد الله على إحسانه وفضله وكرمه ومنه ويحمد الله، عز وجل، إذا إبتلاه بالمصائب، فالحمد أعم الشكر يكون على النعم فقط أما الحمد فيكون على النعم والبلاءات والمصائب

قال: «**بحمد الله ذي الرشد والتسديد:**»

يعني أن ربنا عز وجل له الفضل كله، الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الرَّشَاد، وجميع التوفيق والرشاد والسداد من نعمته.

---

١٢ صحيح مسلم ٢٢٣

ثم قال: «الْحَمد لله أَحق من ذكر، وَأولى من شكر، وَعَلَيهِ أثني الْوَاحِد الصَّمد، الَّذِي لَيْسَ لَهُ صَاحِبَة وَلَا ولد، جلّ عَن الْمثيل؛ فَلَا شَبيه لَهُ وَلَا عديل، السَّمِيع الْبَصِير الْعَلِيم الْخَبِير الْمنيع الرفيع»

الله أحق من ذكر، سبحانه عز وجل؛ لأن ذكر الله تبارك وتعالى به تحيا القلوب، والله عز وجل يحب الذاكرين كثيرا والذاكرات. وكل العبادات هي عبارة عن ذكر لله جلا وعلا، وأعظم الذكر: لا إله إلا الله والحمد لله.

وجدير بالذكر أن حديث: «كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أصبح، وإِذَا أَمْسَى دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبَدَ، وَأَنصر مَنْ ابتُغِيَ، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، وأوسع مَنْ أَعْطَى، أَنْتَ الْمَلِكُ لا شَرِيكَ لَكَ». هو حديث ضعيف جدا[١٣] والمعنى صحيح قطعا.

«وعليه أثني»: يعني أمدح ربي عز وجل؛ لأن أعظم الثناء ما كان على الله تبارك وتعالى، لا نحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثنى عليه أحد من خلقه. فَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ، وَالْبَاطِنُ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

قال: «الواحد الصمد»:

الواحد: من أسماء الله الحسنى

والصمد: أيضا من أسماء الله الحسنى.

---

١٣ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٦٢٥٣

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**»[١٤].

الْوَاحِد: هُوَ الَّذِي لَا يتجزأ وَيَسْتَحِيل تَقْدِير الانقسام فِي ذَاته. فلَا نَظِير لَهُ، فَهُوَ الْوَاحِد الْمُطلق أزلا وأبدا.

وَالْعَبْد إِنَّمَا يكون وَاحِدًا إِذا لم يكن لَهُ فِي أَبنَاء جنسه نَظِير فِي خصْلَة من خِصَال الْخَيْر وَذَلِكَ بِالْإِضَافَة إِلَى أَبنَاء جنسه وبالإضافة إِلَى الْوَقْت إِذْ يُمكن أَن يظْهر فِي وَقت آخر مثله وبالإضافة إِلَى بعض الْخِصَال دون الْجَمِيع فَلَا وحدة على الْإِطْلَاق إِلَّا لله تَعَالَى. فهو الْفَرْدُ الْبَائِنُ مِنَ الْخَلْقِ، الْغَنِيُّ عَنِ الْخَلْقِ بجميع أسمائه وصفاته.

يستحيل أن يكون له شريك، بل القهر والوحدة متلازمان: فالملك والقدرة والقوة والعزة كلها لله الواحد القهار، ومن سواه مربوب مقهور.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦] فَاحْتَجَّ عَلَى تَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ بِتَفَرُّدِهِ بِالْخَلْقِ، وَعَلَى بُطْلَانِ إِلَهِيَّةِ مَا سِوَاهُ بِعَجْزِهِمْ عَنِ الْخَلْقِ، وَعَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ بِأَنَّهُ قَهَّارٌ، وَالْقَهْرُ التَّامُّ يَسْتَلْزِمُ الْوِحْدَةَ، فَإِنَّ الشَّرِكَةَ تُنَافِي تَمَامَ الْقَهْرِ[١٥].

قال أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ:

---

١٤ صحيح البخاري ٥٠١٥

١٥ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/ ٨٤

فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يُقَدِّرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ ... وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ

مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ ... لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ

الصَّمد: هُوَ الَّذِي يصمد إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِج، ويقصد إِلَيْهِ فِي الرغائب؛ هُوَ الَّذِي يقْصد إِلَيْهِ فِي جَمِيع الْحَوَائِج وَهُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهو الذي لا جوف له، فلا يأكل ولا يشرب، غني بذاته.

قال: «الذي ليس له صاحبة وَلَا ولد» سبحانه غني بذاته، جلا وعلا، مستغن عن الصاحبة والولد. وقد كفر الذين نسبوا إلى الله الصاحبة والولد. ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [الأنعام: ١٠١]

وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والده؛ والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابها لله بوجه من الوجوه.

قال: «جل عن المثيل فَلَا شَبيه لَهُ وَلَا عديل»

فالله عز وجل ليس كمثله شيء، سبحانه تبارك وتعالى. قال الله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى: ١١]

وحقيقة التعبد لله، سبحانه وتعالى، بأسمائه وصفاته أن يعرف العبد أن لله سبحانه وتعالى أسماء وصفات تليق بجلاله وعظمته، فإذا عرف ذلك، فإن الواجب

عليه أن يؤمن بما تدل عليه هذه الأسماء والصفات على الوجه الصحيح من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف؛ فيخضع لربه ويخافه ويرجوه ويتضرع إليه في دفع الكربات والشرور، ويدعوه ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

والله تعالى قد أخبر في كتابه أنه: حي، قيوم، عليم، حكيم، غفور، رحيم، سميع، بصير، علي، عظيم، خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وكلم موسى تكليما، وتجلى للجبل فجعله دكا، يرضى عن المؤمنين، ويغضب على الكافرين. ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورى: ١١] ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾ [مريم: ٦٥] ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة: ٢٢]

فنفى بذلك أن تكون صفاته كصفات المخلوقين، وأخبر أنه ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا في شيء من صفاته ولا أفعاله.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا أَنَّ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ فِيهِ بِقِيَاسِ تَمْثِيلٍ يَسْتَوِي فِيهِ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ، وَلَا بِقِيَاسٍ شُمُولِيٍّ تَسْتَوِي أَفْرَادُهُ،

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُمَثَّلَ بِغَيْرِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَغَيْرُهُ تَحْتَ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ تَسْتَوِي أَفْرَادُهَا»[١٦].

قال: «السَّمِيع الْبَصِير الْعَلِيم الْخَبِير المنيع الرفيع».

ذكر المزني اسم الواحد واسم الصمد واسم السميع والبصير والعليم والخبير، وهي كلها من أسماء الله الحسنى.

أما قوله: «المنيع الرفيع»: فليسا من أسماء الله الحسنى. ولعله ذكرهما على سبيل الوصف والخبر.

فالمنيع: تساوي العزيز، الذي لا يضام جانبه أبدا، وهو الرفيع سبحانه يعني العلي جلا وعلا، ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر: ١٥]

وهنا لماذا لم نقل إن المنيع والرفيع من أسماء الله الحسنى؟

لأن للأسماء الحسنى قواعد مهمة جدا أحب أن أذكرها.

قواعد أهل السنة في الأسماء الحسنى

القاعدة الأولى: أن يكون الاسم ثابتا بالوحي

فأسماء الله توقيفية، أي لا بد أن تكون ثابتة في الكتاب والسنة. فليس لأحد أن يضيف اسما غير موجود في الكتاب ولا في السنة، حتى ولو كان هذا الاسم فيه صفة كمال.

---

١٦ الفتاوى الكبرى ١/١٢٩

يعني مثلا:

اسم "الحنان" هذا شائع بين الناس، وهو ليس من أسماء الله الحسنى؛ لأنه لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة.

والحديث الذي ورد في ابن حبان برقم (٨٩٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ سَجَدَ وَتَشَهَّدَ، دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيَّامُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى».

قال الألباني، رحمه الله: صحيح لغيره - دون اسم «الحنان»[١٧]،

أما الرواية الأخرى الصحيحة، فعَنْ أَنَسٍ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[١٨].

---

١٧) صحيح أبي داود» (١٣٤٢)، «الصحيحة» (٣٤١١)

١٨) صحيح أبي داود ١٤٩٥ والترمذي ٣٥٤٤ والنسائي ١٣٠٠ وابن ماجه ٣٨٥٨

وكذلك اسم "الماجد" وهو اسم اشتهر على ألسنة بعض العلماء، وهو ليس من أسماء الله. فـ (الماجد والحنان)، ليسا من أسماء الله الحسنى؛ لأنهما لم يردا في القرآن والسنة بسند صحيح، فلا نقبل أن نسمي الله عز وجل الحنان ولا الماجد، مع أن المجد كله لله عز وجل.

ومن الأسماء الشائعة، وهي ليست أسماء لله، وإنما هي أوصاف:

المعز، المذل، الجليل، الباعث، المحصي، المبدئ، المعيد، المميت، المقسط، المغني، الخافض، المانع، النافع، الضار، الباقي، الرشيد، الصبور.

هذه كلها ليست من الأسماء الحسنى؛ فلم ترد في الكتاب والسنة، فلن تجد اسم "الخافض" ولا " الرافع" مع اليقين أن الله يخفض ويرفع، يخفض القسط ويرفعه، و ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، و ﴿ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]

ولن تجد اسم "المعز" ولا اسم "المذل" مع أنه، سبحانه، بِيَدِهِ الْمُلْكُ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ آل عمران: ٢٦

فهي أوصاف، وأفعالٌ لله عز وجل، لا أسماء.

ولن تجد اسم" الجليل" مع أن الله ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٧]

ولا "الباعث" مع ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٧]

ولا "المحصي" مع أنه القائل: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس: ١٢]

وَقال: ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن: ٢٨] وقال: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة: ٦]

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا»[١٩].

ولا "المبدئ" ولا "المعيد" مع أنه قال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يونس: ٣٤] و﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ ﴾ [الروم: ٢٧]

و﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٩]

ولا "المحيي المميت" مع أن الله يحي ويميت ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓۖ ﴾ [الروم: ٥٠]

و﴿ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت: ٣٩]

---

١٩ صحيح مسلم ٢٥٧٧

وكذلك: المقسط والمغني والباعث والرشيد والصبور

أقول كل هذه ليست من الأسماء الحسنى، وإنما هي أوصاف وأفعال لله عز وجل، وليست أسماء؛ لأنها لم ترد في الوحي الصحيح.

القاعدة الثانية : العلمية.

أي أن يكون علما، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[٢٠].

وإِنَّ الله أَمَرَ عِبَاده أَنْ يَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ، فَقَالَ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فالاسم لا بد أن يكون اسما علما.

مثل: اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ.

ولقد ظل أحد طلبة العلم يناقشني طويلا، عبر (الواتس آب)، يقول اسم "الهادي" أثبته علماء كثيرون!

فقلت: طيب، جزاك الله خيرا، وهم مجتهدون، جزاهم الله خيرا، لهم أجر واحد. فالهادي ليس من أسماء الله. وأما الاستدلال بقول الله تبارك تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١ ﴾ [الفرقان: ٣١]

فربنا عز وجل كفى به هاديا، هذا وصف. أما كونه اسما فلم يرد عَلَمًا لا في الكتاب ولا في السنة.

---

٢٠ متفق عليه : البخاري ٢٧٣٦ و ٧٣٩٢ ومسلم ٢٦٧٧

أما صفة الهدى فهي من صفات ربنا حقا، هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الذي يخلق هداية الإسعاد والتوفيق في القلوب، وله هداية الإرشاد، ومعه رسله وورثة رسله، يعني العلماء يهدون أيضا بأمر الله.

القاعدة الثالثة : الإطلاق

يعني لا بد أن يرد الاسم مطلقا غير مقيد مثل: الرحمن والرحيم والمعطي والباسط والقاهر والقهار والواسع والمقدم والمؤخر والشاكر والشكور والقادر والقدير.

فمثلا اسم "الرافع": ليس من أسماء الله الحسنى. لماذا؟ لأنه لم يأت مطلقا، بل جاء مقيدا. فقد ﴿ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [آل عمران: ٥٥]

فإذا أردنا الوصف نقول: الله رافع عيسى إليه، الله مطهر عيسى مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، فلا نقول: من أسمائه: المتوفي أو المطهر أوالجاعل أو المنتقم أو المهلك أو الحفي أو الصاحب أو الخليفة أو الفعال أو الصانع. **هذا غلط؛ لأنها كلها لم ترد مطلقة، بل مقيدة.**

قال الله لإِبْرَاهِيمَ: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤] ، وقال: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣١]، وقَالَ: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ [مريم: ٤٧] فهو حفي بإبراهيم

وقال: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤٠ ﴾ [المائدة: ٤٠]

، فهو يعذب من يشاء، لكن لا نسميه المُعَذِّب.

وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ ﴾ [هود: ١٠٧]، فهو فعّال لما يريد، وليس اسم الفعال منفصلا مطلقا أبدا.

وفي الحديث الصحيح: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ»[٢١].

فهل نسمي الله الصاحب والخليفة؟ لا، بل هذا خطأ؛ لأنه صاحب في السفر وخليفة في الأهل، وهذا تقييد.

فلا نقول عن الله إن من أسمائه "النور" وإن كان كثير من الناس يعتقدون أن النور من أسماء الله، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [النور: ٣٥]. ولكن هذا مضاف مقيد، ومعناه هادي أهل السَّمَاوَات وَالْأَرْض.

ولا نقول إن من أسمائه "الجامع" لقوله تعالى: ﴿ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾ [آل عمران: ٩]

ولا "الفالق": ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦]

---

٢١ صحيح مسلم ١٣٤٢

ولا "مقلب القلوب"؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَثِيرًا مَّا كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْلِفُ: «لاَ وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ»[٢٢]. أو "كاشف الضر" أو "مخرج الحي من الميت". هذه كلها صفات للرب تبارك وتعالى، وليست أسماء.

وكلها مضافة، فالاسم المطلق يفيد كمالا تاما لله جلا وعلا .

أما المطلق فمثل: السلام، المؤمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور.

ولذا فإن الشيخ ابن عثيمين، رحمة الله عليه، اجتهد اجتهادا عظيما، وكان في نفسه شيء من اسم "الحفي" وهو محق[٢٣]؛ لأن "الحفي" كما ذكرنا أتى مقيدا، فالله حفي بإبراهيم.

وكذلك فإن الشيخ ابن عثيمين لما أثبت اسم "العالم" و"الحافظ" و"المحيط" له أجر واحد، رحمة الله عليه، ورفع قدره في الآخرة . فهو يقول إن من أسماء الله "العالم" ، وهو ليس اسما، ولكنه وصف لله؛ فما ورد اسم "العالم" هكذا مطلقا، ولا اسم "الحافظ"، وإنما ورد اسم "الحفيظ"، ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف: ٦٤]، فهذا أيضا وصف لله جلّ وعلا.

ومن ثم، فلا نسمي الله المطهر ولا المنتقم ولا المهلك ولا المعذب ولا الحفي ولا الصاحب ولا الخليفة ولا الفعال ولا العالم ولا الحافظ، ننفي أنها أسماء ونثبت أنها صفات؛ لأنها خلت عن قاعدة الإطلاق.

---

٢٢ صحيح البخاري ٦٦١٧ و ٧٣٩١

(٢٣) انظر «القواعد المثلى» للعلامة محمد بن صالح العثيمين (ص:٢٥) طبعة مدار الوطن لعام ١٤٣٢هـ .

سألني أحد الطلبة: هل اسم المعطي ثابت؟

أقول: نعم. فعَنِ مُعَاوِيَةَ، رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ المُعْطِي وَأَنَا القَاسِمُ»[٢٤]

القاعدة الرابعة: لا بد أن تكون مشتقة ومن اللغة العربية.

يعني مثلا: اسم "الأعلى" مشتق من فعل "علا"، ولذا هذا الاسم عربي ومشتق ومذكور في القرآن: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾ [الأعلى: ١]

واسم "العزيز": هذا من فعل "عزَّ"، وهو موجود في القرآن وفي السنة.

واسم "الرَّحْمَنِ" واسم "الرَحِيمِ"، مشتق من فعل "رَحمَ"، وفيه صفة الرحمة التامة لله عز وجل.

واسم "الخلاق": من "خَلَقَ"، و"العظيم" من "عَظمَ"، وهكذا فلابد أن تكون الأسماء الحسنى مشتقة.

بينما إذا نظرنا إلى اسم "إيل" وهو اسم موجود في العِبْريَّة، ومنطوق به في العربية، وهو المذكور مثلا في إسرائيل وجبرائيل وميكائيل وإسرافيل وهكذا. فيه اسم "إيل"، وهو بمعنى "الرب"، وهو ليس أصله عربيا، وبالتالي لا يتعبد به ولا يعتمد في أسماء الله الحسنى.

---

٢٤ صحيح البخاري ٣١١٦

القاعدة الأخيرة: أن يفيد المدح والثناء التام

أي لا بد أن يدل على وصف عظيم، بأن يكون اسما على مسمى، يعني اسم يدل على صفات الجلال التام والكمال والجمال لله تبارك وتعالى؛ بحيث لا يكون فيه نقص أبدا، سواء كان الاسم يتناول صفة ذاتية أو صفة فعلية.

يتضمن صفة ذاتية: مثل العزيز والحي والقدير

أو صفة فعلية: مثل الرزاق والخلاق والمقدم والمعطي

أما إن كان اسما جامدا، فلا نثبته لله، مثل اسم "الدهر" مع أن الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[٢٥].

فقال أنا "الدهر" وهو اسم جامد، والله عز وجل بَيَّنَ في الحديث نفسه، قال: «أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ »؛ فالدهر هو اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

ومن ثم، فهذا الاسم لا يفيد مدحا ولا وصفا؛ بل هو اسم جامد لا يدل على أي ثناء.

وكذلك "المبتلى" و"الطبيب" أيضا، قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُ الطَّبِيبُ**»[٢٦]. وهذا الاسم لا يدل على كمال؛لأن الطبيب لا يشفي، وإنما يعالج

---

٢٥ متفق عليه: البخاري ٤٨٢٦ و ٧٤٩١ ومسلم ٢٢٤٦

٢٦ صحيح أبي داود ٤٢٠٧

فقط، والشافي هو الله، واسم الشافي يفيد الكمال، أما الطبيب فلا، فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ، قَالَ: «**أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي**»[٢٧].

* إذًا هذه القواعد الخمسة، لو طبقتموها بأنفسكم، ستستخرجون الأسماء الحسنى من الكتاب والسنة، وتكون المسألة عظيمة جدًا. لأنه لا يوجد اتفاق في الأسماء الحسنى، وستجد أنك مثلا إذا رأيت اسما تنطبق عليه القاعدة الأولى، قد لا تنطبق عليه القاعدة الثانية، أو تنطبق عليه الثانية والثالثة ولا تنطبق الأولى. فلا بد من انطباق القواعد كلها، ولذا انتبهوا أبناءنا وبناتنا، إلى هذه القواعد التي ذكرتها، باختصار شديد.

[صفة العلو:]

إنتقل المؤلف إلى الكلام عن العلو:

«عَال على عَرْشه فِي مجده بِذَاتِهِ وَهُوَ دَان بِعِلْمِهِ من خلقه أحَاط علمه بالأمور وأنفذ فِي خلقه سَابق الْمَقْدُور وَهُوَ الْجواد الغفور ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ ﴾ [غافر: ١٩]»

عقيدة أهل السنة أن ربنا سبحانه عال بذاته، ومن أسمائه: "الأعلى" و"العلي" و "المتعال"

٢٧ متفق عليه: البخاري ٥٦٧٥ و ٥٧٤٢ و ٥٧٤٣ ومسلم ٢١٩١

قال: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾ [الأعلى: ١] وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ [الرعد: ٩] وَقَالَ ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٢٣ ﴾ [سبأ: ٢٣]

له جميع أنواع العلو: لا سيما علو الذات، الذي ينكره الجهمية والأشاعرة. وله علو الشأن وعلو القهر.

عال على عرشه، وعرشه فوق الماء والماء فوق السماء السابعة.

قال تعالى ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝١٢٩ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، فالعرش مربوب وكل مربوب مخلوق.

وخلق العرش سابق على خلق السموات والأرض، وقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وعرشه حينئذ على الماء. قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ [هود: ٧].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ»** [٢٨].

---

٢٨ متفق عليه: البخاري ٣١٩١ و ٤٦٨٤ ومسلم ٩٩٣

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[٢٩].

وقال البعض، ومنم ابن جرير الطبري وابن الجوزي: إن القلم أول المخلوقات، وأنه أسبق في الخلق من العرش. واستدلوا بحديث عبادة بن الصامت، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[٣٠].

والراجح أن العرش هو أول المخلوقات.

وهو قول شيخ الإسلام، ابن تيمية، وابن القيم، وجماهير أهل العلم لما سقناه من الحديث المتفق عليه. ففيه التصريح بأن التقدير وقع بعد خلق العرش. وحديث عبادة صريح بأن التقدير وقع عند أول خلق القلم، فدل ذلك على أن العرش سابق على القلم، أي سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم.

• **والعرش له قوائم:** فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ

---

٢٩ صحيح مسلم ٢٦٥٣

٣٠ صحيح أبي داود ٤٧٠٠ والترمذي ٢١٥٥

مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى»[٣١] .

وفي هذا رد على من زعم من الفلاسفة أن العرش فلك من الأفلاك.

وكذلك فيه رد على من زعم أن العرش بمعنى المُلك.

• **والعرش أقرب شيء إلى الله تعالى**، لأن الله سبحانه قد أخبر أنه مستو على عرشه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥]

ففي إثبات الاستواء على العرش دليل على قربه إليه لأنه سبحانه مستو على أعلى مخلوقاته وأقربها إليه، وهذه ميزة امتاز بها العرش على ما سواه.

• **وللعرش حملة يحملونه**

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ ﴾ [غافر: ٧]

وقال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧ ﴾ [الحاقة: ١٧]

---

٣١ متفق عليه: البخاري ٢٤١٢ و ٣٣٩٨ ومسلم ٢٣٧٤

فالآيتان تدلان على أن لعرش الله حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة، وهم ملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه، ويكونون حوله، ويوم القيامة يحمله ثمانية.

وعَنْ جَابِرٍ بن عبد الله، رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: « **أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**»[٣٢] .

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: «**قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا**»[٣٣].

فحملة العرش هم أول من يتلقى أمر الله، ثم يبلغونه للذين يلونهم من أهل السموات، **فكونهم أقرب الخلق إلى الله دليل على أن العرش أقرب منهم إليه سبحانه؛ لأنهم إنما يحملونه.**

والعرش فوق السموات والأرض وهو كالسقف عليهما، بل هو سقف للجنة كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

---

٣٢ صحيح أبي داود ٤٧٢٧

٣٣ صحيح مسلم ٢٢٢٩

وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[٣٤].

• **وللعرش مكانة رفيعة** عند البارئ عز وجل، وقد ذكره في واحد وعشرين موضعاً من القرآن الكريم، ما يدل على ما له من مكانة ومنزلة عالية عند الخالق سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، [النمل: ٢٦]

وقال: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٦] وقال ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [البروج: ١٥]

فالعرش عظيم، وكريم، ومجيد، فهو عظيم لكونه أكبر المخلوقات وأعظمها وأعلاها. كما أن الله تعالى ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر: ١٥]، قد استوى على العرش المحيط بالمخلوقات وقد وسعها.

والله استوى على عرشه بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، استواء حقيقة يليق بجلاله وعظمته، لا مجاز كما يزعم الجهمية وأتباعهم الذين ينكرون العرش وأن يكون الله فوقه، وأما كيفية ذلك الاستواء فهي مجهولة لدينا. والسؤال عن كيفية ذلك الاستواء بدعة، لأن الله سبحانه لم يطلعنا على كيفية ذاته فكيف

---

٣٤ صحيح البخاري ٢٧٩٠ و ٧٤٢٣

يكون لنا أن نعرف كيفية استوائه، وهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

• **والعرش أثقل المخلوقات وزنته أثقل الأوزان،** فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟ » قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» [٣٥].

فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان.

• **والعرش ليس داخلا فيما يقبض ويطوى.**

يقبض الله يوم القيامة السموات والأرض ويطويها ويبدلها، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

وعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ

---

٣٥ صحيح مسلم ٢٧٢٦

«يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟»[٣٦].

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى كالجنة والنار والعرش.

فعلى هذا يكون العرش ليس داخلا فيما يقبض ويطوى ويبدل، فالله سبحانه وتعالى يقول مخبرا عن بقاء عرشه يوم القيامة: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٤ – ١٧]

فالآيات فيها إخبار عن الموقف يوم القيامة **وفيها شاهد على أن العرش باق حتى بعد انتهاء الحساب.**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما العرش فلم يكن داخلا فيما خلقه في الأيام الستة ولا يشقه ويفطره، بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش، فقد ثبت في الصحيح أن جنة عدن سقفها عرش الرحمن قال صلى الله عليه وسلم: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن»[٣٧].

• أما الكرسي فهو بالنسبة إلى العرش كالمرقاة إليه.

---

٣٦ متفق عليه: البخاري ٤٨١٢ و ٦٥١٩ ومسلم ٢٧٨٧

(٣٧) «بيان تلبيس الجهمية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤٦٥).

قال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

قال ابن القيم، رحمه الله: «ذكر الله سعة كرسيه منبهاً على سعته وعظمته وعلوه، وذلك توطئة بين يدي علوه وعظمته»[٣٨] .

والقول الراجح أن الكرسي جسم عظيم مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وهو موضع القدمين للبارئ عز وجل.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَإِنَّ لَهُ أَطِيطًا كَأَطِيطِ الرَّحْلِ، وَالْعَرْشُ لَا يَقْدُرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ »[٣٩].

وهذا القول هو مذهب السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم واقتدى بسنتهم.

وعن أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه، قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وحده فجلست إليه، فقلت يا رسول الله: أيما أنزل عليك أفضل؟ قال: «آية الكرسي، وما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»[٤٠] .

---

(٣٨) «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» للعلامة ابن القيم (٤/ ١٣٧١).

٣٩ صحيح أخرجه الحاكم ٣١١٦ ، وصححه الألباني في تَخْرِيجِ الطَّحَاوِيَّة ص: ٣١١

٤٠ صحيح أخرجه ابن حبان ٣٦١ ، الصَّحِيحَة: ١٠٩ ، وتخريج الطحاوية ص٥٤

وقال الألباني في الصحيحة: «وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئا معنويا. ففيه رد على من يتأوله بمعنى الملك وسعة السلطان»[٤١]

«فِي مجده»: أي له صفة المجد، واسمه المْجِيد:

وأصل الْمجد فِي اللغة: الْكَثْرَة وَالسعَة، وَهُوَ مَأْخُوذ من قَوْلهم: أمجدت الدَّابَّة، إِذا أكثرت عَلفهَا.فالماجد فِي اللُّغَة الْكثير الشّرف،وَالله تَعَالَى هو المجيد، الجزيل عطاؤه، الذي جمع مَعَاني الجْلال والجود والكرم، فهو : ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ ﴾ [البروج: ١٥]

"وَهُوَ دَان بِعِلْمِهِ من خلقه أحَاط علمه بالأمور"

«يَدْنُو» سُبْحَانَهُ مِنْ بَعْضِ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ؟ أَوْ يُدْنِي إلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَمَنْ نَفَى ذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ:

«فالربُّ سُبْحَانَهُ إِذَا وَصَفَهُ رَسُولُهُ بِأَنَّهُ يَنْزِلُ إلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، وَأَنَّهُ يَدْنُو عَشِيَّةَ عَرَفَةَ إلَى الْحُجَّاجِ، وَأَنَّهُ كَلَّم مُوسَى بِالْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَأَنَّهُ اسْتَوَى إلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دخانٌ، فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا؛ لَمْ يَلْزَمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالُ مِنْ جِنْسِ مَا نُشَاهِدُهُ مِنْ نُزُولِ هَذِهِ الْأَعْيَانِ الْمَشْهُودَةِ حَتَّى يُقال: ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ تَفْرِيغَ مَكَانٍ وَشَغْلَ آخَرَ»[٤٢].

(٤١) « سلسلة الأحاديث الصحيحة» للمحدث الألباني (١/ ٢٢٦)

٤٢ مجموع الفتاوى ٣٥٠/١٧

وهو سبحانه وتعالى، من فوق عرشه، معنا أينما كنا، وهو دان بعلمه: معنا أينما كنا، هو معنا حقيقة. ولكن هذه الحقيقة تقتضي أنه مع جميع الخلق بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته، ومع المؤمنين معية خاصة بنصرته وموالاته، ومع خواص المؤمنين كالرسل بالمزيد من النصرة؛ قَالَ لموسى وهارون، عليهما السلام: ﴿ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ ﴾ [طه: ٤٦]، وكان مع رسوله، صلى الله عليه وسلم، والصديق، رضي اله عنه، ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ [التوبة: ٤٠]

فهو يسمعنا ويرانا ويدبر أمورنا، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. قد استوى على عرشه فوق سماواته، وعلمه محيط بجميع خلقه، يعلم ما بطن كما يعلم ما ظهر، قال: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [الأنعام: ٥٩]
فقد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض. ترفع إليه أعمال العباد بالليل والنهار وهو أعلم بها.

وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله -تبارك وتعالى- على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه

خلافا لباطل الحلولية، الذين زاغت قلوبهم واستهوتهم الشياطين فزعموا أن الله لا يخلو منه مكان، وأنه بذاته حَالٌّ في جميع الأشياء، وقد أكذبهم القرآن والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين.

فقيل للحلولية: لِمَ أنكرتم أن يكون الله تعالى على العرش؟

وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩ ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ [فاطر: ١٠] فهل يكون الصعود إلا إلى ما علا.

وقال: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾ الأعلى: ١ فأخبر أنه أعلى من خلقه. وقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ النحل: ٥٠ فأخبر أنه فوق الملائكة.

وأنه في السماء على العرش، فقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ ﴾ الملك: ١٦ - ١٧، وقال لعيسى: ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ آل عمران: ٥٥ وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ النساء: ١٥٨

و عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال للجارية: " أَيْنَ اللهُ؟ "، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: " مَنْ أَنَا؟ " قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: " أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ"[٤٣].

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَقُولُ: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»[٤٤].

[القضاء والقدر]

قال: «وأنفذ فِي خلقه سَابق الْمَقْدُور»

هو بذاته فوق عرشه يدبر أمورنا التدبير الكوني؛ فيبسط الأرزاق ويقلب القلوب والأبصار، ويعلم السر والجهر، والتدبير الشرعي، فكلف الإنسان والجان بما يصلحهم في الدنيا والآخرة.

قدر كل شيء بعلمه سبحانه أزلا.

فمراتب القدر أربعة:

المرتبة الأولى: علم الله بجميع الأشياء جملة وتفصيلا:

---

٤٣ صحيح مسلم ٥٣٧

٤٤ صحيح الْبَخَارِيُّ ٧٤٢٠

ومنها جميع أفعال العباد من طاعة ومعصية. لا يغيب عن علمه شيء، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ الحديد: ٣

علم ما كان وما يكون؛ سواء كان دقيقا أم جليلا، من أفعاله أو أفعال خلقه، فقدر كل شيء بعلمه الشامل.

قال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]

وقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ الحج: ٧٠

المرتبة الثانية: كتابته لجميع الأشياء:

فجميع ما كان وما سيكون كله مكتوب لديه، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ الحديد: ٢٢

وَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ يس: ١٢

وَقَالَ: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الإسراء: ٥٨

وَقَالَ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٥

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،رضي الله عنهما، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[٤٥].

المرتبة الثالثة : مشيئة الله النافذة في كل شيء:

فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ الأنعام: ١١٢

ما من شيء في السماوات والأرض إلا وهو كائن بإرادة الله ومشيئته؛ فلا يكون في ملكه ما لا يريد أبدا، سواء كان ذلك فيما يفعله بنفسه أو يفعله المخلوق.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ يس: ٨٢

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ البقرة: ٢٥٣

---

٤٥) صحيح مسلم ٢٦٥٣

المرتبة الرابعة: الخلق:

ومنه خلق أفعال العباد؛ فما من شيء في السماوات والأرض إلا الله خالقه ومالكه ومدبره وذو سلطانه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ الرعد: ١٦

وهذا العموم لا مخصص له، حتى فعل المخلوق مخلوق لله؛ لأن فعل المخلوق من صفاته، وهو وصفاته مخلوقان، **ولأن فعله ناتج عن أمرين**:

١- إرادة جازمة.

٢- قدرة تامة.

والله هو الذي خلق في الإنسان الإرادة الجازمة والقدرة التامة ، فلا خالق غيره، ولا رب سواه.

فهي أربع مراتب جمعت اختصارا في بيت واحد، وهو قوله:

علم كتابة مولانا مشيئته ... وخلقه وهو إيجاد وتكوين

قال: «وَهُوَ الْجواد الغفور»

والجواد: اسم ثابت لله تبارك وتعالى. فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللّهَ، عز وجل، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا»[٤٦][٤٧].

---

٤٦ السَّفْسَاف: الأمرَ الحقير والرديء من كل شيء، وأصله: ما يَطير من غُبارِ الدِّقيق والتُّرابِ .

فهو الجواد المطلق الذي لا منتهى لجوده وكرمه، وهو يحب الجود على عباده، ومن أعظم ما جاد به عليهم تعرفه لهم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، عم بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله، وكرمه، ونعمه المتنوعة، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو لسال الحال من بر، وفاجر، ومسلم، وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤاله.

ومن جوده الواسع ما أعده لأوليائه في دار النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال ابن القيم في نونيته:

وَهُوَ الجَوَادُ فَجُودُهُ عَمَّ الوُجُو ... دَ جَمِيعَهُ بِالفَضْلِ وَالإحْسَانِ

وَهُوَ الجَوَادُ فَلا يُخَيِّبُ سَائِلاً ... وَلَوْ أنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الكُفْرَان

والغفور: وهو كذلك اسم ثابت لله تبارك وتعالى

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٨ ﴾ [الأحقاف: ٨] و[يوسف: ٩٨]و [القصص: ١٦]و [الزمر: ٥٣] و﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ ﴾ الحجر: ٤٩ و ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ الكهف: ٥٨ و﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾ سبأ: ٢ ، و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥ ﴾ الشورى: ٥، و﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾ الملك: ٢، و﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ﴾ البروج: ١٤

---

٤٧ **صحيح**: رواه الشافعي ٢٦٦١٧، وعنه البيهقي ٢٠٥٦٩ ، صححه الألباني: صَحِيح الْجَامِع: ١٧٤٤

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: « قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ »[٤٨].

وهُوَ اسم على وزن فعول، من قَوْلهم غفرت الشَّيْء إِذا سترته، والغفور فِي ذنُوب الْآخِرَة، والغفار الَّذِي يسترهم فِي الدُّنْيَا وَلَا يفضحهم.

فالغافر يدل على أصل الْمَغْفِرَة فَقَط، والغفور يدل على كَثْرَة الْمَغْفِرَة بِالْإِضَافَة إِلَى كَثْرَة الذُّنُوب، والغفار يُشِير إِلَى كَثْرَة على سَبِيل التّكْرَار، أَي يغْفر الذُّنُوب مرّة بعد أُخْرَى.

فَالْغفار مُبَالغَة فِي الْمَغْفِرَة بِالْإِضَافَة إِلَى مغْفرَة متكررة مرّة بعد أُخْرَى. وَهُوَ غَفُور بِمَعْنى أَنه تَامّ الْمَغْفِرَة والغفران كاملها حَتَّى يبلغ أقْصَى دَرَجَات الْمَغْفِرَة.

يعني لو أن شخصا مثلا لا يفعل من الذنوب إلا شرب الخمر مداوم على شرب الخمر فيقول: ياغفار اغفر لي، وأما لو كان يشرب الخمر ويغتاب ويفعل أشياء أخرى فيقول: ياغفور اغفر لي.

ثم استدل بقوله تعالى: «﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر: ١٩]»

---

٤٨ **متفق عليه**: **البخاري ٨٣٤ و٦٣٢٦ و٧٣٧٨ ومسلم ٢٧٠٥**

فالله عز وجل من فوق عرشه يعلم السر وأخفى، والسلف الصالح يؤمنون بأن الله من فوق سبع سماوات يعلم ما نحن عليه.

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧ ﴾ المجادلة: ٧

وأشار إلى القدر كما ذكرنا ثم عقب فقال: «فالخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له من خير وشر، لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعا، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعا»

هذه المسألة الخطيرة جدا، مسألة القدر، أن الله عز وجل، سبحانه تبارك وتعالى، خلق العباد وخلق أفعالهم وأعمالهم. ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ الصافات: ٩٦ ، وعلم سبحانه كل شيء، وقدّره بعلمه، وهو علم أزلي سابق.

فأنت أيها الإنسان كنت مجرد معلومة في علم الله الشامل السابق الأزلي، ثم إنه سبحانه قدّر تقديرا بهذا العلم، ثم كتب في اللوح المحفوظ جميع الأقدار التي قدّرها سبحانه وقضاها لحكمة عظيمة، ثم حين يشاء يخرج ذلك المقضي ويخلقه، فيتم كل ما يريده الله سبحانه وتعالى.

فمراتب القدر أربعة سبق ذكرها.

وتلك الأقدار تتحقق في هذا العالم، فما حدث كله كان مكتوبا في اللوح المحفوظ، والذي يحدث الآن هو مكتوب في اللوح المحفوظ، والذي سيحدث غدا وبعد غد،

وإلى أن تقوم الساعة، كله مكتوب في اللوح المحفوظ. ولا بد أن يحدث كما قدره الله سبحانه جلا وعلا، والعباد يعملون وتأتي منهم الأعمال الصالحة أو الأعمال غير الصالحة، يصدر منهم الإيمان ويصدر منهم الكفر ويصدر منهم الفسوق والعصيان، وتصدر منهم الطاعات وتصدر منهم الكبائر والبدع والمعاصي. كل هذا كتبه الله، عز وجل، وقدّره وخلقه، وهم يفعلون ذلك على حسب تقدير الله، عز وجل؛ فلا يملكون لأنفسهم أن يخرجوا عن شيء مما كتبه الله تبارك وتعالى، ولا يستطيعون تحويلا عما قدّره الله عز وجل، من دون أن يجبرهم الله على ذلك؛ لأن الجبر ظلم، والله عز وجل لا يظلم أحدا أبدا، والشيء الذي يجبرهم عليه لا يحاسبهم عليه؛ لأنه منزه عن الظلم سبحانه جلّ وعلا.

يعني لو كان لونك أسود، أو ولدت في ليبيا أو المغرب أو أسبانيا، لا يحاسبك الله على هذا، ولا يحاسبك على أن أباك هو فلان ولا أن أمك هي فلانة، ولا يحاسبك الله على لونك ولا على طولك ولا على عرضك ولا على عمرك، يعني أنه يكون مقدرا لك أن تعيش ستين أو سبعين سنة أو ثلاثين أو عشرين، لا يحاسبك الله على ما أجبرك عليه، وهذا من رحمته وفضله، وإنما يحاسبك على كسبك، حسب منطقة اختيار خلقها الله عز وجل، وهداك النجدين.

فالله تبارك وتعالى جعل فيك نازعين، ووكل بك داعيين، وجعل لك منطقة اختيارٍ خاضعة لعقلك الذي هو في القلب، فتصدر القرارات منه بعد أخذ ورد وتمحيص، ويتم الفعل منك مع تقدير الله لكل هذا، والله عز وجل يحاسبك على قدر إختيارك. وكلما تضاءل الإختيار أو قل، قل الحساب، وكلما تمكن الإختيار زاد الحساب.

هذا أمر يحتاج إلى توضيح مختصر:

جعل الله لك نازعين: نازع الخير ونازع الشر؛ قال عز وجل: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ الشمس: ٧ - ٨

«عَنْ مجاهد. أي عرفها طريق الفجور والتقوى.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا: عَرَّفَهَا الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدِهِ خَيْرًا، أَلْهَمَهُ الْخَيْرَ فَعَمِلَ بِهِ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ السُّوءَ، أَلْهَمَهُ الشَّرَّ فَعَمِلَ بِهِ.

وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَلْهَمَ الْمُؤْمِنَ الْمُتَّقِيَ تَقْوَاهُ، وَأَلْهَمَ الْفَاجِرَ فُجُورَهُ»[٤٩].

يعني ربنا عز وجل خلق النفس البشرية، وجعلها بين نازعين: بين الفجور وبين التقوى، بين نازع الشر وبين نازع الخير، زينت للنفس الشهوات، فقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ آل عمران: ١٤

فالإنسان زينت له جميع الشهوات في هذا الكون.

---

٤٩ تفسير القرطبي ٧٥/٢٠

وزين له أيضا التقوى والإيمان وحب الله تبارك وتعالى وحب التذلل والطاعة لله عز وجل. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ الحجرات: ٧

والقلب مفطور على الميل إلى الله سبحانه.

بينما النفس مجبولة على حب الشهوات والميل إليها.

وهناك أيضا قرينان لك:

قرين شيطان، وقرين ملك

فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ **قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ**» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[٥٠].

وفي رواية: «وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ»[٥١].

فأما القرين الشيطان؛ فإنه يدعوك إلى كل شر، ويوسوس لك به. ويريد منك الوقوع في الخطايا والمعاصي والبدع والكبائر والشرك الأصغر ثم الشرك الأكبر، وأما الملك المقيض وهو معك دائما، فيدعوك إلى الخير والإيمان والتوبة وترك المعصية.

---

٥٠ صحيح مسلم ٢٨١٤

٥١ صحيح مسلم ٦٩

فأنت معك نازعان، ومعك قرينان، لا يفارقانك إلا عند الموت، وبين ذلك هناك عقلك ومنطقته في القلب، وهذا العقل مخلوق من الله تبارك وتعالى وتؤثر فيه العوامل الوراثية والجينات والأحوال الدموية وتراكم التجارب والخبرات، فتختار أنت ويقرر عقلك، الذي هو قلبك، يقرر شيئاً فتسعى إلى فعله، فلمّا تفعل هذا الشيء تحاسب عليه، إن كان خيرا فالحمد لله، يكتبه ملك الحسنات، وإن كان شرا يكتبه ملك السيئات.

فقرار الإنسان بين كل هذه الأشياء، والله عزو وجل عليم بما سيكون ومقدر له وكاتب له، ويخلق فعلك، حسب مراده . والله لا يظلم أحدا بل يتفضل وينعم تبارك وتعالى، فيتم كل ما يريده.

فإن الله عز وجل كتب مقادير الخلائق كلها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما سبق.

ثم شاء الله، عز وجل، أن تخرج هذه الأقضية وتلك الأقدار من اللوح المحفوظ لتتحقق في هذا العالم، فالذي مضى ووقع كله كان مكتوبا في اللوح المحفوظ.

والذي يحدث الآن هو مكتوب في اللوح المحفوظ، والذي سيحدث غدا وبعد غد وإلى أن تقوم الساعة كله مكتوب في اللوح المحفوظ، ولا بد أن يحدث كما قدره الله سبحانه، والعباد يعملون ويفعلون وتأتي منهم الأعمال الصالحة أو الأعمال غير الصالحة، يصدر منهم الإيمان ويصدر منهم الكفر ويصدر منهم الفسوق والعصيان وتصدر منهم الطاعات وتصدر منهم الأعمال الصالحة، وتصدر منهم الكبائر والبدع والمعاصي. كل هذا كتبه الله عز وجل وقدّره وخلقه وهم يفعلون

ذلك على حسب تقدير الله عز وجل؛ فلا يملكون لأنفسهم أن يخرجوا عن شيء مما كتبه الله تبارك وتعالى، ولا يستطيعون تحويلا عن ما قدّره الله عز وجل.

قال: «فالخلق عاملون بسابق علمه والخلق نافذون لما خلقهم»

يعني الخلق يفعلون أفعالهم التي كتبت عليهم سابقا دون إجبارهم عليها، والإنسان ليس مجبرا وليس مخيرا، بل الإنسان ميسر لما خلق له.

قال البخاري، رحمه الله: وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». يُقَالُ مُيَسَّرٌ: مُهَيَّأٌ. وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيمَا يَعْمَلُ العَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[٥٢].

فربنا خالق كل شيء، هو خالق الخير وخالق الشر، ولكن الشر ليس من أفعاله بل من مفعولاته؛ فلا ننسب الشر إلى الله؛ فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَبَّرَ، ثُمَّ كان يقول: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**»[٥٣].

أقول: الشر ليس من فعل الله بل هو من مفعولاته، يعني في خلق الشر ليس شرا؛ فالله سبحانه وتعالى خلق إبليس، وهو وراء كل الشرور يدعو إليها جميعا، الشرك والكفر والفسوق والعصيان والبدع والضلالات، ولكن العلة في خلق الشيطان ليست شرا؛ لأنه لولا هذا ما تميز الصالح من الطالح، ولا تميز المفلح من

---

٥٢ متفق عليه: البخاري ٧٥٥١ ومسلم ٢٦٤٩

٥٣ صحيح مسلم ٧٧١

الخاسر، ولا تميز التقي من الشقي، فإبليس يعد بمثابة النار التي يوضع فيها الذهب فيفتن فيها فيزال عنه الخبث ويصفو خالصا، فخلق الشر ليس شرا، فهذه الشهوات التي زينت للناس، يكون الاستسلام لها من مفعولات الله، وليست من فعله تبارك وتعالى.

ففي العبد المطيع تجتمع إرادة الله الكونية والشرعية، إرادته الكونية يكون بها كل شيء يحبه الله أو لا يحبه، وإرادته الشرعية يأمر الله بها بما يحب، فيأمر بالصلاة والبر والإحسان.

فبالإرادة الكونية يكون كل شيء، يكون الشر والخير وتكون السعادة أو الشقاء، وبالإرادة الشرعية يأمر الله عز وجل بمحابه.

وتفترق الإرادتان في حق الكافر، فإن الكافر مكتوب عليه أنه سيكفر ومراد منه أن يكفر كونا، ومراد منه شرعا أن يؤمن، فتختلف الإرادتان فيه، أما المؤمن فتلتقي الإرادتان الكونية والشرعية فيه.

مثال ذلك: أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، أراد الله لأبي بكر كونا أن يكون مهتديا وأن يكون صديقا وأن يكون خير الناس بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأمره شرعا ضمن المسلمين بالإحسان والتقوى والطاعة. وإستجاب أبو بكر، رضي الله عنه، لربه، وهو من سادات المحسنين ومن سادات الأتقياء، فاجتمعت فيه الإرادتان.

ومثال آخر: أراد الله من أبي لهب كونا أن يكفر، وأراد منه شرعا أن يؤمن، فاختلفت الإرادتان فيه.

والإرادة الكونية لا إطلاع لنا عليها ولا نعلم عنها شيئا، فليس لنا أن نتعامل إلا بالإرادة الشرعية، فكل خبر جاء عن الله نصدقه، وكل أمر منه نسارع إلى تنفيذه، مستسلمين خاضعين.

عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ ﴾ الليل: ٥ – ٦» [٥٤].

فطاعة العبد لربه تتم بإرادة الله الكونية، وبموافقة العبد بإرادته لإرادة الله الشرعية، فتتوافق الإرادات ويظهر توفيق الرب للعبد وفعله. وينسب الفضل فيه إلى الله.

يعني إذا أنت وفقت للخير، فانسب الفضل لله؛ فهو الذي أراد بك الخير وهو الذي وفقك إلى طاعته، وهو الذي مَنَّ عليك بفضله سبحانه، فالفضل كله لله، وإن كان العبد سببا في فعل الطاعة، وسيجازيه ربه تبارك وتعالى بذلك. ولذا لابد للإنسان أن ينسب الفضل إلى الله.

---

٥٤ **متفق عليه: البخاري ٤٩٤٩ ومسلم ٢٦٤٧**

قال الله تَعَالَى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الحجرات: ١٧

فالفضل كله لله في إتمام طاعة العبد؛ لأن الله هو الذي يحبب إلى المؤمنين الإيمان ويزينه في قلوبهم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»[٥٥].

فهذا دليل واضح أن دخول الجنة يكون بسبب العمل، ولكن هذا العمل مهما كان لا يقابل فضل الله تبارك وتعالى؛ فتكون الجنة في النهاية منحة من الله ونعمة وكرم منه لأهل التقوى؛ فهو يوفقهم في الدنيا إلى الإيمان والتقوى والعمل الصالح بفضله، ثم يعينهم سبحانه عز وجل، ثم يأجرهم على طاعته ويدخلهم الجنة فالحمد كله والشكر كله لله.

ثم قال، رحمه الله : «خلق الْخلق بمشيئته عَن غير حَاجَة كَانَت بِهِ»

قال ابن القيم، رحمه الله: «خلق الله الخلق بمشيئته؛ لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وبرؤيته فى الآخرة تقر عيونهم ونفوسهم، ولا شيء يعطيهم فى الآخرة أحب إليهم من النظر إليه، ولا شيء يعطيهم فى الدنيا أَحب إليهم من الإيمان به ومحبتهم له ومعرفتهم به، وحاجتهم

---

٥٥ صحيح مسلم ٢٨١٦

إليه فى عبادتهم له وتأَلههم له كحاجتهم إِليه بل أَعظم فى خلقه وربوبيته لهم ورزقه لهم، فإِن ذلك هو الغاية المقصودة التى بها سعادتهم وفوزهم، وبها ولأَجلها يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم ولا فلاح ولا نعيم ولا لذة ولا سرور بدون ذلك بحال، فمن أَعرض عن ذكر ربه فإِن له معيشة ضنكاً، ويحشره يوم القيامة أَعمى»[٥٦].

بلا حاجة منه إليهم لكمال غناه، فجميع الخلق في حاجة إليه ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ ﴾ فاطر: ٤١

وهو ليس بحاجة إليهم أن ينصروه أو يعينوه أو يساعدوه، فلم يخلقهم ليتكثّر بهم من قلة، أو يتعزز بهم من ذلة، أو ليستغني بهم من فقر، بل "أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ لِيَتَوَسَّلُوا بِشُكْرِهَا إِلَى زِيَادَةِ فضله، تَعَرَّفَ إِلَى عِبَادِهِ بِأَنْوَاعِ النعمِ السَّابِغَةَ، أَفَاضَها عَلَيْهِمُ، وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَضَمَّنَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ: أَنَّ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ"[٥٧].

إنما خلقهم لعبادته ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، وهم المحتاجون للعبادة؛ لتصلهم بالله وتربطهم به.

قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾ الذاريات: ٥٨

---

٥٦ طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (ص ٥١)

٥٧ مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٤٤)

وقال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾ فاطر: ١٥

وقال: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ ﴾ محمد: ٣٨

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ»(٥٨).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ

---

٥٨ **متفق عليه: البخاري ٧٤١١ و ٧٤١٩ ومسلم ٩٩٣**

وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»[٥٩].

[الْمَلَائِكَة]

قال الإمام المزني رحمه الله : «فخلق الْمَلَائِكَة جَمِيعًا لطاعته وجبلهم على عِبَادَته؛ فَمنهمْ مَلَائِكَة بقدرته للعرش حاملون وَطَائِفَة مِنْهُم حول عَرْشه يسبحون وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يقدسون وَاصْطفى مِنْهُم رسلًا إِلَى رسله وَبَعض مدبرون لأَمره».

الملائكة عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور؛ فعَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم : «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ »[٦٠]، وسخرهم لما أراد منهم، ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] يقومون بأمر الله، ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ التحريم: ٦

والإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة، ومن أنكر الملائكة فهو كافر مكذب لله، ورسوله، وإجماع المسلمين.

منهم العابدون، ومنهم الموكلون ببني آدم، ويختلفون اختلافا كثيرا، وليس هم القوى المادية أو العقلية أو ما أشبه ذلك، كما تزعم الفلاسفة، بل هم أجسام، كما قال تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ ﴾ فاطر: ١

---

٥٩ صحيح مسلم ٢٥٧٧

٦٠ صحيح مسلم ٢٩٩٦

قال العلامة ابن عثيمين، رحمه الله: «الملائكة: جمع ملك وأصله (مألك)، ثم زحزت الهمزة إلى مكان اللام وقدمت اللام فصار (ملأك)، ثم حذفت الهمزة للتخفيف فصار (ملك)؛ لأن ملائكة مأخوذة من (ألالوكة) وهي الرسالة.

فالملائكة رسل؛ قال الله تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ .

وجبلهم الله على الطاعة، فهم راكعون، وساجدون ومسبحون، لا يسأمون.

ووكل الله من الملائكة الكرام، ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ⁽١١⁾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⁽١٢⁾﴾ الانفطار: ١١ - ١٢، وصفهم الله بالكرام لكمال أخلاقهم، ولكمال صفاتهم، أحدهما يكون عن اليمين؛ والثاني يكون عن الشمال، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ⁽١٧⁾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ⁽١٨⁾﴾ ق: ١٧ - ١٨

فهم يحفظون أعمالهم، ويكتبونها في سجلات تقرأ يوم القيامة. وهم الملكان الرقيب والعتيد، وليس الرقيب غير العتيد، بل الرقيب هو العتيد؛ لأن الله تعالى قال: ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ – ١٨] ولم يقل سبحانه: رقيب وعتيد، إذا الرقيب هو العتيد.

وهذان الاثنان دائمان مع الإنسان لقوله تعالى: ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ⁽١٨⁾﴾ ق: ١٧ - ١٨،

فنؤمن بأسماء من علمنا اسمه منهم: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وملك الموت، ومنكر، ونكير، فجبريل، وميكائيل، وإسرافيل كل منهم موكل بما فيه الحياة:

فجبريل: موكل بما فيه حياة القلوب وهو الوحي؛ فجعله الله تعالى وكيلًا في نزول الوحي على الرسل: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥

وميكائيل: موكل بالقطر، وبه حياة الأرض والإنسان والحيوان والنبات.

وإسرافيل: موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الأجساد عند البعث.

ولهذا جمع النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بين هؤلاء الملائكة في حديث استفتاح صلاة الليل، بقوله: «اللَّهُمَّ رب جبرائيل، وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[٦١].

وأما (مالك) : فهو موكل بالنار لقوله تعالى عن أهل النار﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الزخرف: ٧٧

---

٦١ صحيح مسلم ٧٧٠

و(ملك الموت) : وقد اشتهر أن اسمه (عزرائيل)، لكنه لم يصح، بل ورد في آثار إسرائيلية. فيكفي أن نسميه (ملك الموت) كما سماه الله - عز وجل - في قوله: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١

و(منكر ونكير): وهما الملكان اللذان يسألان الميت في قبره،

عن ربه، ودينه، ونبيه.

وعلينا الإيمان بأوصاف من علمنا وصفه:

فصح عن النبي، عليه الصلاة والسلام، أنه رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفق.

فعن زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»[٦٢].

وهذا يدل على عظمته، ومع ذلك فإنه من الممكن أن يأتي على غير هذه الصفة، كما أتى على صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، وجاء مرة على صورة دحية الكلبي، وإنما كان بأمر الله، وقد تمثل جبريل بشرًا لمريم بنت عمران كما قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ مريم: ١٧

---

٦٢ **متفق عليه: البخاري ٤٨٥٧ و ٤٨٥٨ ومسلم ١٧٤**

ومن أهم ما يجب الإيمان به أن نؤمن بأن كل شخص معه ملكان يكتبان عمله كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٧ - ١٨ أي: رقيب حاضر.

ونؤمن بأن الله تعالى خلقهم فقاموا بعبادته، وانقادوا لطاعته، حجبهم الله عنا، فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، فقد رأى النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جبريل، وتمثل جبريل لمريم بشرا سويا فخاطبته وخاطبها، وأتى إلى النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنده الصحابة، بصورة رجل لا يعرف ولا يرى عليه أثر السفر، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، فجلس إلى النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسند ركبتيه إلى ركبتي النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووضع كفيه على فخذيه وخاطب النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاطبه النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبر النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أصحابه أنه جبريل.

ومنهم ملك الجبال، الموكل بها.

ومنهم ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام، وآخرون موكلون بحفظ بني آدم.
وآخرون موكلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إلى مثواه، فـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٧

ومنهم الملائكة، الموكلون بأهل الجنة: ﴿ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرعد: ٢٣ - ٢٤

وقد أخبر النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أن البيت المعمور في السماء يدخله - وفي رواية يصلي فيه - كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[٦٣].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: « لَقَدْ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ شَهِدُوا جِنَازَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، مَا وَطِئُوا الْأَرْضَ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ»[٦٤]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»[٦٥]

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رضي الله عنه،قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَتَى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ عَائِدًا، مَشَى فِي خَرَافَةِ الْجَنَّةِ (أَيْ: مَشَى فِي اِجْتِنَاءِ ثِمَارِهَا) حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ [عَادَهُ] غُدْوَةً، صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ [عَادَهُ] مَسَاءً، صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ»[٦٦].

---

٦٣ متفق عليه: البخاري ٣٦٧٤ ومسلم ١٦٢
٦٤ صحيح ابن أبي شيبة ٣٦٧٩٧ وصححه الألباني: الصَّحِيحَة: ٣٣٤٥
٦٥ صحيح مسلم ٢٨٤٢
٦٦ صحيح أبي داود (٣٠٩٨) وابن ماجه (١٤٤٢) والترمذي (٩٦٩)

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة:

أولا: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه.

ثانيا: شكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

ثالثا: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين.

وقال العلامة ابن باز، رحمه الله: «**فالملائكة قسمان:** قسم نعلمه؛ لأنهم قد سموا لنا، فنؤمن بهم وبأسمائهم تفصيلا، كجبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وما أشبه ذلك من الملائكة، والبقية نؤمن بأن الله أخبر عنهم سبحانه: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٧

ونؤمن بأنهم أقسام، منهم موكل بنا لحفظ أعمالنا وكتابتها، ومنهم موكل بالسياحة في الأرض يحضرون مجالس الذكر ويستمعون له، ومنهم الذين يتعاقبون فينا ليلا ونهارا، ومنهم حملة العرش، ومنهم غير ذلك، وقد جاء في الحديث الصحيح: «أنه يدخل البيت المعمور الذي في السماء السابعة كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم. وهذا يدل على كثرتهم وأنهم جنود لا يحصيهم إلا الله عز وجل فنؤمن بهم إجمالا وتفصيلا وأنهم عباد مكرمون ليسوا بشرا وليسوا جنا ولكنهم خلق آخر خلقوا من النور، وهم يتشكلون كما يشاء الله عز وجل، ولهم أعمال، ولهم صفات تليق بهم

فالمقصود أنهم يتلونون بالألوان التي يريدها الله جل وعلا ويشاءها سبحانه وتعالى ولهم خلقة يعلمها الله عز وجل، ولهم أجنحة كما أخبر الله في كتابه العظيم في سورة فاطر إلى غير ذلك مما أخبر الله به عز وجل في الكتاب والسنة، فنؤمن بما جاء في الكتاب والسنة تفصيلا، ونؤمن بهم على سبيل الإطلاق والإجمال فيما لا نعلم من شأنهم وصفاتهم. جند من جنوده وسفراء بينه وبين عباده في تبليغ أوامره ونواهيه سبحانه وتعالى.

أما ما يُطلق عليه " الملائكة الكَروبيُّون " فليس له أصل في الأحاديث النبوية الصحيحة ـ وما جاء ذِكرهم فيه: أحاديث ضعيفة جدّاً، وموضوعة، وآثار عن السلف، وطائفة من المفسرين، وقد ذكر بعض العلماء أن الكروبيين هم:

من يكونون حول عرش الرحمن، أو هم حملة العرش أنفسهم.

وقال آخرون: هم سادة الملائكة وعظماؤهم.

وقال فريق ثالث: هم ملائكة العذاب.

ولم يثبت في ذلك شيء. والحديث المروي عن جابر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إن لله ملائكة وهم الكروبيون من شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام للطائر السريع في انحطاط» .

قال الألباني: ضعيف جدّاً، أما حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ

مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ».فهو بهذا اللفظ صحيح»[٦٧].

متى خلقوا؟ :

لم يرد نص في ذلك لكنهم سابقون لخلق الإنس يقينا لنص القرآن: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠ ، فأخبرهم بإرادته خلق الإنسان فدلّ على أنهم موجودون قبله.

عظم خلقهم:

وأعظمه على الإطلاق جبريل عليه السلام وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ. وقال رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ »[٦٨]

ومن الملائكة العظام أيضا حَمَلة العرش، كما سبق بيانه.

جمالهم:

قال تعالى واصفا جبريل عليه السلام: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾ النجم: ٥ – ٦ ، قال ابن عباس: { ذُو مِرَّةٍ } ذو منظر حسن، وقال قتادة: ذو خَلْق طويل حسن. وقد تقرر عند الناس جميعا وصف الملائكة بالجمال

---

٦٧ صحيح: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٨٢ حديث: ١٥١) ، وصحيح أبي داود (٣/١٥٥ حديث:٤٧٢٧).

٦٨ صحيح مسلم ١٧٧

ولذا فهم يشبّهون الجميل من البشر بالملائكة كما قالت النسوة في حق يوسف الصديق: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ يوسف: ٣١

تفاوتهم في الخلق والمقدار:

الملائكة ليسوا على درجة واحدة في الخلق والمقدار بل يتفاوتون كما يتفاوتون في الفضل كذلك فأفضلهم من شهد بدرا كما جاء في حديث مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ»[٦٩].

لا يأكلون ولا يشربون:

ويدل على هذا ما جرى بين خليل الرحمن، إبراهيم، عليه السلام، وأضيافه من الملائكة: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ الذاريات: ٢٦ - ٢٨

و﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ هود: ٧٠

لا يملون ولا يتعبون من ذكر الله وعبادته:

قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ فصلت: ٣٨

---

٦٩ صحيح البخاري ٣٩٩٢

سرعتهم:

أعظم سرعة يعرفها البشر اليوم سرعة الضوء وسرعة الملائكة فوق هذه السرعة بكثير إذ أن السائل ما كاد يفرغ من سؤال النبي إلا وقد جاء جبريل بالجواب من رب العزة.

ومنهم الموكل بالنطفة في الرَّحِم كما في حديث ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»(٧٠).

ومنهم الموكل بالجبال عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ. فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ

---

٧٠ متفق عليه: البخاري ٣٢٠٨ ومسلم ١٦٢

الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ .. إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٧١).

ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون، وقيام لا يجلسون، وركع وسجود لا يرفعون؛ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ (صوّتت وضجّت) وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ. وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ (الطّرُق) تَجْأَرُونَ (تتضرّعون) إِلَى اللَّهِ(٧٢).

وكُلُّ حَرَكَةٍ فِي الْعَالَمِ نَاشِئَةٌ عَنِ الْمَلَائِكَةِ فهو سُبْحَانَهُ وَكَّلَ بِالْجِبَالِ مَلَائِكَةً، وَبِالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ مَلَائِكَةً، وَبِالرَّحِمِ مَلَائِكَةً تُدَبِّرُ أَمْرَ النُّطْفَةِ حَتَّى يَتِمَّ خَلْقُهَا، ثُمَّ وَكَّلَ بِالْعَبْدِ مَلَائِكَةً لِحِفْظِ مَا يَعْمَلُهُ وَإِحْصَائِهِ وَكِتَابَتِهِ، وَوَكَّلَ بِالْمَوْتِ مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بِالسُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بِالْأَفْلَاكِ مَلَائِكَةً يُحَرِّكُونَهَا، وَوَكَّلَ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بِالنَّارِ وَإِيقَادِهَا وَتَعْذِيبِ أَهْلِهَا وَعِمَارَتِهَا مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بالجنة وعمارتها وغرسها مَلَائِكَةً، فَالْمَلَائِكَةُ أَعْظَمُ جُنُودِ اللَّهِ، وَمِنْهُمُ: الْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا وَالْفَارِقَاتُ فَرْقًا وَالْمُلْقِيَاتُ ذِكْرًا وَالنَّازِعَاتُ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا وَالصَّافَّاتُ صَفًّا، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا.

---

٧١ صحيح البخاري ٣٢٣١

٧٢ صحيح الترمذي ٢٣١٢

وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا إِلَّا الله.

وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، بَلِ الأمر كله لله الواحد الْقَهَّارِ، وَهُمْ يُنَفِّذُونَ أَمْرَهُ: وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}.

لَا يُوصَفُونَ بِذُكُورَةٍ وَلَا بِأُنُوثَةٍ. مُيَسَّرُونَ لِلطَّاعَاتِ، مَعْصُومُونَ مِنَ الْمَعَاصِي.

[آدم عَلَيْهِ السَّلَام]

قال الإمام المزني رحمه الله : « ثمَّ خلق آدم بِيَدِهِ وَأَسْكَنَهُ جنته وَقبل ذَلِك للْأَرْض خلقه وَنَهَاهُ عَن شَجَرَة قد نفذ قَضَاؤُهُ عَلَيْهِ بأكلها، ثمَّ ابتلاه بِمَا نَهَاهُ عَنهُ مِنْهَا، ثمَّ سلط عَلَيْهِ عدوه فأغواه عَلَيْهَا وَجعل أكله لَهَا إِلَى الأَرْض سَببا؛ فَمَا وجد إِلَى ترك أكلهَا سَبِيلا وَلَا عَنهُ لَهَا مذهبا».

خلق الله آدم بيده، وهذا تشريف له عظيم؛ فعَنْ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَمَسَّ بِيَدِهِ مَنْ خَلَقَهُ غَيْرَ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: خَلَقَ الْجَنَّةَ بِيَدِهِ، ثُمَّ جَعَلَ تُرَابَهَا الْوَرْسَ وَالزَّعْفَرَانَ، وَجِبَالَهَا الْمِسْكَ، وَخَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٧٣].

---

٧٣ صحيح: الشريعة للآجري ٧٥٩ وصححه الألباني: مختصر العلو ١٠٤

واليدان: من صفاته سبحانه الخبرية الواردة في كتابه العزيز، قال الله عز وجل: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ المائدة: ٦٤

وقال عز وجل: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ ص: ٧٥

وَأَسْكَنَهُ جنته : ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ ﴾ البقرة: ٣٥ - ٣٦

وفِي قَوْلِهِ تَعَالَى:« ٱسۡكُنۡ » تنْبِيهٌ عَلَى الْخُرُوجِ؛ لِأَنَّ السُّكْنَى لَا تَكُونُ مِلْكًا، بل تَكُونُ إِلَى مُدَّةٍ ثُمَّ تَنْقَطِعُ، وَلَا الْتِفَاتَ لِمَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْقَدرِيَّةُ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ وَإِنَّمَا كَانَ فِي جَنَّةٍ بِأَرْضِ عَدْنٍ.

وَاسْتَدَلُّوا عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ جَنَّةَ الْخُلْدِ لَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِبْلِيسُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ:﴿ لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ ﴾ الطور: ٢٣، وَقَالَ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥ ﴾ النبأ: ٣٥، وَقَالَ:﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦ ﴾ الواقعة: ٢٥ - ٢٦

وَأَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَهْلُهَا لِقَوْلِهِ:﴿ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨ ﴾ الحجر: ٤٨

وَأَيْضًا فَإِنَّ جَنَّةَ الْخُلْدِ هِيَ دَارُ الْقُدْسِ، قُدِّسَتْ عَنِ الْخَطَايَا وَالْمَعَاصِي تَطْهِيرًا لَهَا. وَقَدْ لَغَا فِيهَا إِبْلِيسُ وَكَذَبَ، وَأُخْرِجَ مِنْهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ بِمَعْصِيَتِهِمَا.

قَالُوا: وَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَى آدَمَ مَعَ مَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَكَمَالِ عَقْلِهِ أَنْ يَطْلُبَ شَجَرَةَ الْخُلْدِ وَهُوَ فِي دَارِ الْخُلْدِ وَالْمُلْكِ الَّذِي لَا يَبْلَى!!؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَرَّفَ الْجَنَّةَ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ، وَمَنْ قَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، لَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ فِي تَعَارُفِ الْخَلْقِ إِلَّا طَلَبُ جَنَّةِ الْخُلْدِ. وَلَا يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ دُخُولُ إِبْلِيسَ الْجَنَّةَ لِتَغْرِيرِ آدَمَ، وَقَدْ لَقِيَ مُوسَى آدَمَ،عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ مُوسَى لِآدَمَ: آنْتَ الَّذِي أَشْقَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ؟ قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَاصْطَفَاكَ لِنَفْسِهِ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَجَدْتَهَا كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي، قَالَ: نَعَمْ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[٧٤].

فَقَوْلَ مُوسَى: "وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ"، فَأَدْخَلَ الْأَلِفَ وَاللَّامَ لِيَدُلَّ عَلَى أنها جنة الخلد الْمَعْرُوفَةُ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ آدَمُ، وَلَوْ كَانَتْ غَيْرَهَا لَرَدَّ عَلَى مُوسَى. وَأَمَّا مَا احْتَجُّوا بِهِ مِنَ الْآيِ فَذَلِكَ إِنَّمَا جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهَا بَعْدَ دُخُولِ أَهْلِهَا فِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ دَارَ الْخُلْدِ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَخْلِيدَهُ فِيهَا وَقَدْ يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ قُضِيَ عَلَيْهِ بِالْفَنَاءِ. وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَقَدْ دَخَلَهَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةَ الْمعراج، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا، وَأَخْبَرَ بِمَا فِيهَا وَأَنَّهَا هِيَ جَنَّةُ الْخُلْدِ حَقًّا.

---

٧٤ متفق عليه: البخاري ٣٤٠٩ و ٤٧٣٦ و ٤٧٣٨ و ٦٦١٤ و ٧٥١٥ ومسلم ٢٦٥٢

وقَوْلُهُ:" وَلا تَقْرَبا" إِشْعَارٌ بِالْوُقُوعِ فِي الْخَطِيئَةِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ سُكْنَاهُ فِيهَا لَا يَدُومُ، لِأَنَّ الْمُخَلَّدَ لَا يَحْظُرُ عَلَيْهِ شي وَلَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى. وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠، فَدَلَّ عَلَى خُرُوجِهِ مِنْهَا.

ثم كان الإهباط إلى الأرض، فقال: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أي: مسكن وقرار، ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خلقتم لها، وخلقت لكم، ففيها أن مدة هذه الحياة، مؤقتة عارضة، ليست مسكنا حقيقيا، وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار.

فلم يزالا ممتثلَيْن لأمر الله، حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموه عليهما وقال: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ أي: من جنس الملائكة ﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ طه: ١٢٠

ومع قوله هذا أقسم لهما بالله ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ الأعراف: ٢١ ، فاغترا بذلك، وغلبت الشهوة في تلك الحال على العقل.

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾ أي: نزلهما عن رتبتهما العالية، التي هي البعد عن الذنوب والمعاصي إلى التلوث بأوضارها، فأقدما على أكلها.﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾ وهما بتلك الحال

موبخا ومعاتبا: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ فلم اقترفتما المنهي، وأطعتما عدوَّكُما؟[٧٥]

[الْجنَّة وَالنَّار]

قال رحمه الله : «ثمَّ خلق للجنة من ذُريَّته أَهلا فهم بأعمالها بمشيئته عاملون وبقدرته وبإرادته ينفذون وَخلق من ذُريَّته للنار أَهلا فخلق لَهُم أعينا لَا يبصرون بهَا وآذانا لَا يسمعُونَ بهَا وَقُلُوبًا لَا يفقهُونَ بهَا. فهم بذلك عَن الْهدى محجوبون وبأعمال أهل النَّار بسابق قدره يعْملُونَ»

يعني خلق الله عز وجل من ذرية آدم أهلا للنار وأهلا للجنة، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَة: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ، عز وجل، خَلَقَ آدَمَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً. فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ فَفِيمَ الْعَمَلُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ، عز وجل، إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

---

٧٥ تفسير السعدي ١/٢٨٥

فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»(٧٦).

فهم سيعملون أعمالهم في الدنيا، على حسب مشيئة الله تبارك وتعالى، من دون أن يجبرهم ربنا تبارك وتعالى، ومن دون أن يظلمهم، عز وجل، كل إنسان يعمل بناء على عقله ومنطقة اختياره وكسبه التي هي بين نازعي الشر والخير أو نازعي الفجور والتقوى، وبين شيطان يأمره بالمنكر ويدعوه إلى الشر والفسوق والعصيان، وبين ملك يدعوه إلى الخير والصدق والإيمان. والإنسان بين هذين النازعين وذلكما الهاتفين، له عقله وله منطقة اختياره وكسبه؛ فيعمل بما قدره الله تبارك وتعالى عليه حسب مشيئته وقدرته، سبحانه تبارك وتعالى، ولكن الإنسان يعمل بإرادة خاصة له خلقها الله عز وجل فيه، يحاسبه عليها سبحانه من دون أن يظلمه شيئا جلّ وعلا.

وبنو آدم قسمان: مؤمن وكافر؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ ﴾ [التغابن: ٢] فأهل الجنة يعملون بعمل أهل الجنة ويوفقون ويسعدهم الله عز وجل ويدخلون الجنة، وأهل النار هم حصب جهنم، بإرادتهم ينطلقون ليعملوا عمل السوء ويكفرون بالله عز وجل، من دون أن يظلمهم الله تبارك وتعالى؛ فقد أَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا بِعَدْلِهِ. ثُمَّ وَصَفَهُمْ فَقَالَ: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا

---

٧٦ صحيح: أبي داود ٤٧٠٣ والترمذي ٣٠٧٥

يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩] لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِها" فَلَا يَعْقِلُونَ ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ عقابا. ولهم أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بها الهدى، وَلَهُمْ آذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِها الْمَوَاعِظَ. وَلَيْسَ الْغَرَضُ نَفْيَ الْإِدْرَاكَاتِ عَنْ حَوَاسِّهِمْ، أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى ثَوَابٍ، فَهُمْ كَالْأَنْعَامِ، أَيْ هِمَّتُهُمُ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ، وَهُمْ أَضَلُّ؛ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ تبصر منافعها. فهم بذلك حجبهم الله عز وجل عن الهدى؛ عدلا منه تبارك وتعالى، وانصرفوا بإرادتهم. صرف الله قلوبهم وبأعمال أهل النار يعملون، حسب سابق تقدير الله تبارك وتعالى لا يخرج عن مشيئته شيءٌ أبدا.

[الإيمان]

ثم انتقل المزني رحمه الله إلى الإيمان فقال :

«والإيمان قول وعمل مع اعتقاده بالجنان: قول باللسان وعمل بالجوارح والأركان. وهما سيان ونظامان وقرينان لا نفرق بينهم. لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان. والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون وبصالح الأعمال هم متزايدون، ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان، ولا يكفرون بركوب كبيرة ولا عصيان. ولا نوجب لمحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا نشهد على مسيئهم بالنار».

الإيمان قولان وعملان:

قول القلب وقول اللسان

وعمل القلب وعمل اللسان والجوارح.

قول القلب: يعني التصديق واليقين والإقرار

وقول اللسان: نطق الشهادتين

وعمل القلب: ومنه محبة الرب تبارك وتعالى، والخوف منه والرجاء فيه، والصدق والإخلاص والتوكل والإنابة والنية والاحتساب والخضوع والخشوع والذل والتوبة.

وأعمال اللسان والجوارح: لأن قول اللسان يختلف عن عمل اللسان؛ **فقول اللسان** هو ركن الشهادتين، أما عمل اللسان فمنه تكرار الشهادتين وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذكر وتعلم وتعليم العلم الشرعي، فكل الأعمال الصالحة التي يؤديها اللسان عمل صالح.

وأماعمل الجوارح: كالصلاة والصيام والزكاة والحج والبر وصلة الأرحام وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله وإماطة الأذى عن الطريق والحياء، أي كل ما يؤدى بجوارح الإنسان كيديه ورجليه وعينيه وفمه.

هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة.

لا بد أن نقول إن الإيمان بمعنى الشرع كله، لا تنسوْا أن الشرع كله: القرآن كله والسنة كلها شيئان فقط لا غير: **خبر أو أمر.**

أي: إما خبر من الله تبارك وتعالى، وإما أمر منه عز وجل

فيخبرنا الله عن نفسه، وعن أسمائه وعن صفاته وعن خلقه، وعن الأمم الماضية، فهذه أخبار يجب التصديق والإقرار واليقين بها.

ويأمرنا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والجهاد في سبيله ومحبة المؤمنين والمتقين والطائعين حبا في الله عز وجل، والرغبة إليه والتقرب إليه سبحانه.

كل الأوامر بل والنواهي تعتبر أوامر بضدها، يعني مثلا: النهي عن شرب الخمر معناه الأمر باجتناب الخمر، والنهي عن الزنا معناه وجوب العفة.

وهكذا فأوامر الله عز وجل لا بد لها من تنفيذ، بل مبادرة بالتنفيذ.

فالأخبار الثابتة في الكتاب والسنة لا بد لها من التصديق والإقرار واليقين، **من لم يصدق ويقر ويوقن فقد كفر.**

أما الأوامر فهي واجبة التنفيذ. هناك أوامر إذا لم يفعلها العبد كفر، كمن لم يوحد الله أو رفض النطق بالشهادتين. وهناك أوامر أخرى إذا لم يفعلها العبد صار عاصيا، مثل عقوق الوالدين وترك صلة الأرحام والإنفاق في سبيل الله، ومنع الزكاة.. وهكذا.

فالإيمان لا بد أن يكون كما ذكرنا تصديقا بالقلب بإقرار ويقين، ثم عمل القلب بإخلاص ومحبة وخوف ورجاء وتوكل ويقين وإنابة وبكاء من خشية الله تبارك والشوق إلى لقائه؛ فالقلب يقول ويعمل.

وأما اللسان فالمطلوب منه قول واحد وهو نطق الشهادتين وما يتبع ذلك من الإقرار باليوم الآخر وبأن القرآن كلام الله غير مخلوق. وأما عمل اللسان فكل ما يقوله ويفعله من الطاعات هو من الإيمان.

والجوارح لها أعمال معروفة: صلاة وصيام وزكاة وحج وإماطة أذى عن الطريق وهكذا.

هذه أركان الإيمان التعبدية مقتضى الإلوهية.

فإن قال شخص: أليست أركان الإيمان هي الستة المذكورة فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ قَالَ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[٧٧]. أم هي الأربعة: قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح؟

فالجواب: انتبه! قلنا من قبل: الدين كله عبارة عن أخبار وأوامر

ففي باب التصديق واليقين: أي في باب الخبر، أي الربوبية، يكون الإيمان بالستة أركان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

أما في باب تنفيذ الأوامر: أي الألوهية: فأربعة: قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل اللسان والجوارح.

---

٧٧) صحيح مسلم (٨)

فالأركان المتطلبة للتصديق والإقرار واليقين هي الستة التي تتعلق بعالم الغيب. والأركان المتعلقة بتنفيذ الأمر والتي تتعلق بالألوهية فهي الأربعة، وهي بضع وسبعون شعبة: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[٧٨].

كلها أجزاء في الإيمان في حقيقته.

قال: « فالعمل والقول قرنان نظامان سيان، لا نفرق بينهما؛ لأنه لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان»

يعني لا بد من ربوبية ولا بد من ألوهية، الإيمان متعلق بالربوبية والعمل متعلق بالألوهية، والعمل كله يسمى إيمان أيضا.

ثم قال: «والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون»

يعني في كل الأركان التي ذكرناها، في قول القلب الذي هو التصديق واليقين والإقرار، يتفاوتون في درجات التصديق، من شخص إلى شخص، بل تختلف في الشخص الواحد، من أحوال إلى أحوال، من أزمان إلى أزمان، والشخص، قبل أن يتعلم، يكون تصديقه أقل، وبعد أن يتعلم يزيد تصديقه، والشخص في البداية يكون عنده علم يقين، وممكن في بعض الأمور ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين إلى حق اليقين.

---

٧٨ متفق عليه: البخاري ٩ ومسلم ٣٥

يعني مثلا: أنت تصدق بوجود الكعبة هذا علم يقين. وحين تسافر وترى الكعبة يزداد يقينك، وتتحول من علم يقين إلى عين يقين، رأيتها بعينك، ثم إذا لمست الحجر الأسود أو لمست الركن اليماني، فأنت في هذه الحالة انتقلت إلى حق اليقين.

والنبي، صلى الله عليه وسلم، في كثير من مسائل الإيمان، إنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين إلى حق اليقين. ولذا هو أعظمنا إيمانا، صلى الله عليه وسلم، يعني أنت تؤمن بالجنة علم يقين، وتؤمن بالنار علم يقين، أما النبي، صلى الله عليه وسلم، فقد رأى الجنة والنار، ومد يده ليأخذ قطفا من عنب من الجنة، ونظر في النار ورأى أكثر أهلها النساء ورأى أكثر أهل الجنة الفقراء، ورأى سدرة المنتهى ورأى الملائكة ورأى جبريل عليه السلام، ورأى الجن وتكلم معهم وقرأ عليهم القرآن. أما نحن فلم نر الجان، وإن كانوا هم يروننا: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٧]

فالمؤمنون يتفاضلون في درجة التصديق واليقين والإقرار؛ فتصديق أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- ويقينه وإقراره أعظم من غيره من الصحابة، رضوان الله عليهم، وتصديق الصحابة وإقرارهم ويقينهم أعظم من تصديقنا وإقرارنا ويقيننا.

ففي قول القلب يتفاضل الناس، وفي عمل القلب أيضا يتفاضلون: في الخوف والرجاء والمحبة والتوكل والإنابة، يتفوق البعض على البعض؛ فهناك من يشتد خوفه من الله كعمر والصحابة، رضوان الله عليهم.

والنبي صلى الله عليه وسلم، هو أعلى الناس في كل مقامات الإيمان صلوات الله وسلامه عليه.

وأيضا في قول اللسان يتفاضل الناس، يعني بمصاحبة النطق بالقول، مع صدق اليقين والإقرار، وفي أعمال اللسان والجوارح يتفاضل الناس، فهناك من يتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وهناك من يعلم ويتعلم أكثر من غيره. وهناك من يدعو إلى الله أكثر من غيره، وكذلك في الجهاد والصدقة يتفاضل الناس، فمن أكثر الناس صدقة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟

إنه عثمان، من يتفوق على عثمان بن عفان رضي الله عنه؟

أقول: لا ريب أنه يتفاضل الناس في كل أعمال الإيمان.

قال: «**وبصالح الأعمال هم متزايدون**»

يزيد بعضهم على بعض وإيمانهم يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

قال: «**ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان**»

وهذا فيه تفصيل.

إذا كان المقصود من الذنوب الشرك الأكبر والسحر، فهذا يخرج من الإيمان.

أما الذنوب الأخرى: كبعض الحسد وبعض الحقد وبعض الغيرة وشرب الخمر والزنا والإساءة إلى الوالدين وعقوقهما وقطع الأرحام والسرقة وإيذاء الناس

وشتمهم وقذفهم؛ فهذه كلها ذنوب لا تخرج من الإيمان ولكنها تنقصه، أي أنها لا تعارض أصل الإيمان، وإنما تعارض كمال الإيمان.

أما ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٧٩].

فالمعنى أنه يزول عنه كمال الإيمان ويبقى له أصل الإيمان.

أي ينزل من الإيمان إلى الإسلام، فهو وإن لم يكن مشركا، فلا يطلق عليه اسم المدح، الذي هو الإيمان المطلق.

وقد دل الكتاب والسنة، من وجوه كثيرة، على أن العبد يكون فيه خير وشر، وإيمان، وخصال كفر، وخصال نفاق، لا تخرجه عن الإيمان بالكلية. وأن الإيمان المطلق إنما يتناول الإيمان الممدوح الكامل في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ الأنفال: ٢ – ٣

ونحو ذلك من النصوص.

---

٧٩ متفق عليه: البخاري (٥٥٧٨) (٦٧٧٢) (٦٨١٠) ومسلم (٥٧)

وأما مصطلح الإيمان الذي يدخل فيه الإيمان الكامل والإيمان الناقص، فإنه قد ثبت في الكتاب والسنة إطلاقه على العصاة من المؤمنين. وأجمع على ذلك سلف الأمة وأئمتها:

قال تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢]، ومن المعلوم دخول أي مؤمن من الأرقاء في هذا النص.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] فسماهم إخوة بعد وجود الاقتتال.

ويقال أيضًا في توضيح ذلك: إن الإيمان الممدوح الذي يؤتى به في سياق الثناء على أهله إنما يتناول الإيمان الكامل، والإيمان الذي يقال لصاحبه إنه من المؤمنين يدخل فيه هذا وهذا.

ويقال أيضًا الإيمان الذي يمنع صاحبه من التجرئ على الزنا وشرب الخمر والسرقة ونحوها من الفواحش هو الإيمان الكامل. والإيمان الذي لا يمنع من ذلك هو الناقص. وهذا وجه الحديث: «لا يزني الزاني... إلخ».

ويقال أيضًا: الإيمان الذي يمنع دخول النار هو الإيمان الكامل، والإيمان الذي يمنع من الخلود فيها يكون إيمانًا ناقصًا.

وقد صحت الأحاديث بخروج من في قلبه حبة خردل من إيمان. فعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ

مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» وفي لفظ: «مِنْ إِيمَانٍ». مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ»[٨٠].

ويقال أيضًا: «الأحكام الأصولية والفرعية تدور مع أسبابها وعللها، وإذا وجد في العبد أسباب متعارضة، عمل كل سبب في مسببه، فالطاعات سبب لدخول الجنة والثواب، والمعاصي سبب لدخول النار والعقاب، فأعمل كل واحد في مقتضاه.

ولكن لما كانت رحمة الله قد سبقت غضبه، وفضله على العباد قد غمرهم وتنوع عليهم من كل وجه، كان أقل القليل من الإيمان له الأثر المستقر الذي يضمحل ضده من كل وجه، وإن كان معه شيء من الإيمان فإن مآله إلى الخلود في دار النعيم»[٨١].

قال: «ولا يكفرون بركوب كبيرة ولا عصيان»

فمرتكب الكبيرة ليس بكافر، ولا يكفره إلا الخوارج؛ فهم يقولون إن الإيمان يبقى كله أو يزول كله، وإذا ارتكب العبد كبيرة فإن إيمانه يزول مباشرة، وهذا باطل.

فعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ -رضي الله عنه- أَنَّ رَجُلًا، عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا

---

٨٠ صحيح البخاري ٤٤

٨١ عبد الرحمن السعدي: التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ١/١١٠

فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**»[٨٢].

فلو كان شرب الخمر يخرج من الإيمان، لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، باستتابته وقتله، ولكن كان يَضْرِبُهُ، بل أقسم باللَّهِ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فأثبت لهذا الرجل، رضي الله عنه، حب الله ورسوله، مع ارتكابه الكبيرة.

ومَاعِز، رضي الله عنه، لما وقع في الزنى، أمر النبي صلى الله عليه وسلم، برجمه حدا ولم يأمر بقتله كفرا.

وكذلك حدث مع الغامدية، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع يد المرأة المخزومية التي سرقت، ولو كان ارتكاب الكبيرة كفرا لأمر بقتلها.

وَبَيَّنَ هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ ثَلَاثًا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ عَادَتْ فَلْيَبِعْهَا، وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ»[٨٣].

وفي رواية: «إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوها، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَبِيعُوهَا وَلَوْ بِضَفِيرٍ»[٨٤].

---

٨٢ صحيح البخاري ٥٧٨٠

٨٣ صحيح الترمذي ١٤٤٠

٨٤ صحيح أبي داود ٤٤٦٩ وصحيح ابن ماجه ٢٥٦٥

فالصحيح أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر، وهذا خلاف ما يقوله أمثال الحويني وسلمان العودة وسفر الحوالي، الذين يفتون بأن المُصِرَّ على الكبيرة مستحل كافر!!.

سبحان الله، ألا يرون أن معظم الناس يرتكبون الكبائر، بل كانوا يرتكبونها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الصحابة، رضوان الله عليهم. ونزلت الحدود تعاقبهم، ولم يكفرهم أحد من السلف الصالح.

بل إنه من نذر أن يرتكب الكبيرة ليس بكافر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ»[٨٥]. ولم يقل من نذر أن يعصي الله فقد كفر.

فمرتكب الكبيرة، بل إن المُداوِمِ المُصِر عليها لا يكفر، وإنما يستحق مرتكبها العقاب، ويدعى للتوبة.

قال: «ولا نوجب لمحسنهم الجنان»

هذه قاعدة عظيمة: أننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

أي: لو رأينا شخصا محسنا، كعالم كبير، لو رأينا مثلا الشيخ الفوزان، لو رأينا الشيخ ابن باز أو الشيخ ابن عثيمين أو الشيخ ربيع، لا نجزم لأحد منهم بالجنة. وإنما نقول: نرجو له الجنة.

---

٨٥ صحيح البخاري ٦٦٩٦ و ٦٧٠٠

بل نقول: نرجو للإمام مالك وللإمام أبي حنيفة والإمام أحمد والشافعي والأوزاعي وابن تيمية وابن القيم، وأمثالهم ومتبعيهم، وكل الناس الصالحين نرجو لهم الجنة.

ولا نجزم لأحد أنه في الجنة إلا من أوجب له النبي، صلى الله عليه وسلم، فنقول مثلا: العشرة المبشرون بالجنة في الجنة:

فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»[٨٦].

ونوجب لعكاشة بن محصن، رضي الله عنه، الجنة؛ فقد قَالَ نَبِيُّ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»الحديث، وفيه: فَقَامَ عُكَّاشَةُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»[٨٧].

ونوجب لبلال، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دخول الجنة؛ لأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِبِلاَلٍ عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ: «يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ»[٨٨].

---

٨٦ صحيح الترمذي ٣٧٤٧ و٣٧٤٨

٨٧ صحيح مسلم ٢١٨

٨٨) متفق عليه: البخاري ١١٤٩ ومسلم ٢٤٥٨

ونوجب لأم حرام بنت ملحان الجنة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ حَرَامٍ: أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ[٨٩] يَوْمًا فِي بَيْتِهَا، فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ البَحْرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتِ مِنْهُمْ»[٩٠].

بل نؤمن أن الصحابة كلهم رضوان الله عليهم، في الجنة، السابقون وغير السابقين؛ لأن الله عز وجل ذكر ذلك؛ فقال: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحديد: ١٠

يعني كل الصحابة وعدهم الله الجنة، والله لا يخلف وعده سبحانه.

فالذي يوجب له رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة نشهد له بالجنة، ولا نشهد للمسيء بالنار، فالذي يرتكب الكبائر لا نقول إنه في النار، بل نقول نخشى على المسيء، ولا نوجب النار إلا لمن أوجبها له ربنا أو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقول: أبو لهب في النار، وأبو جهل في النار وفرعون في النار.

---

٨٩) من القيلولة.

٩٠) متفق عليه: البخاري ٢٧٣٧ ومسلم ١٩١٢

[الْقُرْآن]

قال: «وَالْقُرْآن كَلَام الله عز وَجل وَمن لَدنه وَلَيْسَ بمخلوق فيبيد»

هنا يقرر المزني رحمه الله، عقيدة أهل السنة، وينفي عن نفسه كل شبهة، ويؤكد أن القرآن كلام الله تبارك وتعالى وليس بمخلوق؛ لأن الكلام صفة من صفات الله عز وجل، ولا يجوز القول بأن صفات الله تبارك وتعالى مخلوقة.

وقول المعتزلة، ومن وافقهم، من أهل البدع، بأن القرآن مخلوق، هو قول باطل مبني على إنكار صفات الرب تبارك وتعالى، وتعطيل أفعاله.

ولأن القرآن كلام الله، فهو صفته -عز وجل-، ولذا قول العلماء إن من أُزِيلت عنه الشبهة، يعني من بُيِّنَ له الأدلة على أن القرآن كلام الله، وليس بمخلوق وأقيمت عليه الحجة، ثم بقي بعد ذلك معاندا، فإنه كافر.

ومن المعلوم أن الصحابة، رضوان الله عليهم، لم يقولوا: القرآن مخلوق ولا غير مخلوق وكذلك التابعون، ولكن ظهرت بدعة القول بخلق القرآن بعدهم، والعياذ بالله.

قال ابن الأثير في كتاب الكامل:

«في سنة أربعين ومئتين تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادَ، فِي الْمُحَرَّمِ بَعْدَ ابْنِهِ أَبِي الْوَلِيدِ بِعِشْرِينَ يَوْمًا، وَكَانَ دَاعِيَةً إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ، وَأَخَذَهُ بِشْرٌ مِنَ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، وَأَخَذَهُ جَهْمٌ مِنَ الْجَعْدِ بْنِ أَدْهَمَ، وَأَخَذَهُ الْجَعْدُ مِنْ أَبَانِ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهُ أَبَانٌ مِنْ

طَالُوتَ ابْنِ أُخْتِ لَبِيدِ الْأَعْصَمِ وَخَتَنَهُ، وَأَخَذَهُ طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لَبِيدٌ يَقُولُ بِخَلْقِ التَّوْرَاةِ، وَأَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي ذَلِكَ طَالُوتُ، وَكَانَ زِنْدِيقًا، فَأَفْشَى الزَّنْدَقَةَ»[٩١].

فبدعة القول بخلق القرآن هي من اليهود، والعياذ بالله، ثم تقلدها بعد ذلك المعتزلة: بشر المريسي والجهم بن صفوان، وقد قتل الجهم بن صفوان عام مائة وثمانية وعشرين.

هؤلاء المعتزلة، وعلى رأسهم ابن أبي دؤاد، أثروا على الخليفة العباسي المأمون، وكان في زمن خلافته محبا للمعرفة وجلب تراث اليونان وطلب ترجمته، واعتنق فكر المعتزلة في الاستناد على العقل في محادة النقل، فأصاب الأمة بلاء عظيم وقع على علماء السنة، وفي هذه المحنة والفتنة الكبرى، ثبت فيها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

وأمر المأمون بقتل من لم يقر بها من العلماء، فقتل كثيرا من العلماء، وحبس من حبس وجلد من جلد، وأراد المأمون أن يقتل أحمد بن حنبل رحمه الله، ولكن الله أخذ المأمون أخذ عزيز مقتدر، وبقي أحمد، ثم تولى المعتصم فأمر بضرب أحمد وجلده حتى يموت، ولكن الله عز وجل أبقاه، ثم كان الواثق فمنع أحمد رحمه الله من التدريس وألا يخرج من داره، وكانت فتنتة عظيمة.

---

٩١ الكامل في التاريخ ١٤٩/٦

ثم رفع الله هذه المحنة على يد الخليفة المتوكل، وعاد الأمر إلى أهل السنة، وقد ثبت أحمد بن حنبل رحمه الله، وصار إمام أهل السنة والجماعة، وأظهر الله الحق على يديه، بعد أن تعرض للضرب والحبس والإهانة.

ونقول هل هذه المسألة انتهت أم أن هناك من يقول بهذه الأفكار في زمننا؟

لا زالت هذه الأمور سارية، والبعض يعتقدها، كالأشاعرة، ويروجون لها ويطعنون ويهولون من هذا الأمر، ومنهم ذلك المسمى البوطي، فإنه كان يقول الأمر هين والقرآن الموجود بين أيدي المسلمين مخلوق.

المهم أن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق، ودليل ذلك:

أن الله عز وجل قال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤، فالله له شيئان: الخلق والأمر.
والقرآن من الأمر لا من الخلق، يقول الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] فالقرآن من أمر الله ليس بمخلوق، وهذا دليل واضح جدا.
قال الله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦] ولا يمكن أن يكون علم الله مخلوق.
قال الله عز وجل ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢] والعزة من صفات الله تبارك وتعالى، فالله عز وجل هو العزيز، وكل صفاته لها العزة. وكل ما عدا ذلك

فهو ذليل له، العرش والسماوات والأرض وما بينهما وجميع المخلوقين أذلاء لله عبيد له تبارك وتعالى، فالقرآن عزيز؛ لأنه من صفة كلام الله تبارك وتعالى.
ولما قالوا لأحمد بن حنبل، رحمه الله: القرآن شيء وكل شيء هالك إلاّ وجهه. قال: سبحان الله! وذكر لهم الريح العقيم ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٥
إذا مسألة «كل» هذه لا تعني الجميع، بل يوجد فيها إستثناء. وذكر لهم أن الهدهد قال لسليمان، عليه السلام، عن ملكة سبأ: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ النمل: ٢٣
فهل هي أوتيت عرش سليمان عليه السلام؟

وهل هي أوتيت بقية الملك في غير سبأ؟ لا .

وإستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣] وزعموا أن: جعل، بمعنى: خلق، فكل مجعول هو مخلوق، وهذا احتجاج باطل. فإن فعل «جَعَلَ» إذا تعدى لمفعولين فليس معناه خَلَقَ نهائيا.
فـ«جعل» هنا تساوي «أنزل» وليست تساوي «خلق».
وانظر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٤]
وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ الزخرف: ١٩
وقوله: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم ﴾ البقرة: ١٩

فالمهم إحتج عليهم الإمام أحمد، رحمه الله، بالأدلة القوية التي تثبت أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فأفحمهم إفحاما.

وأهل السنة يعتقدون أن كلام الله، عز وجل، صفة من صفاته، وأنه أنزله بعلمه، وأنه منه بدأ وإليه يعود، وأن القرآن محفوظ في الصدور وفي السطور. ولكن حين يأتي أمر الله، تبارك وتعالى، يرتفع القرآن من السطور ومن الصدور؛ فالصحف لا يكون فيها آية، والصدور تنسى كلام الله عز وجل، ويرجع القرآن إلى الله، عز وجل، فمنه بدأ وإليه يعود. وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ[٩٢]، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى[٩٣] عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا » فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ"، ثَلَاثًا»[٩٤].

---

٩٢ من دَرَسَ الثَّوبُ دَرْساً، إِذَا صَارَ عتيقًا. ووَشْيُ الثَّوب: نَقْشه

٩٣ أَي: يذهب بالليل

٩٤ صحيح ابن ماجه ٤٠٤٩ والسلسلة الصَّحيحَة ٨٧

[الصفات]

ثم انتقل المزني، رحمه الله، إلى الكلام في صفات الله، عز وجل:

«وكلمات الله وقدرة الله ونعته وَصِفَاته كاملات غير مخلوقات دائمات أزليات وَلَيْسَت بمحدثات فتبيد وَلَا كَانَ رَبنَا نَاقِصا فيزيد.

جلت صِفَاته عَن شبه صِفَات المخلوقين وَقصرت عَنهُ فطن الواصفين قريب بِالْإِجَابَة عِنْد السُّؤَال بعيد بالتعزز لَا ينَال.

عَال على عَرْشه بَائِن من خلقه مَوْجُود وَلَيْسَ بمعدوم وَلَا بمفقود».

كلمات الله من صفاته عز وجل، والقرآن من كلام الله، كما ذكرنا، وكلمات الله ليست مخلوقة، وإلاّ ما صح أن يقال: «أعوذ بكلمات الله التامات».

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: « إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ »[٩٥].

وعن سَعْد بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ، تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ

---

٩٥ صحيح البخاري ٣٣٧١

بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[٩٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: « أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»[٩٧].

فالاستعاذة لا تكون إلا بالله أو بأسماء الله، عز وجل، أو بصفاته، تبارك وتعالى:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، رضي الله عنه، قَالَ: "قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: «ضَعْ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللهِ - ثَلَاثًا - وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ». فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ - عز وجل - مِمَّا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ[٩٨].

وقال البخاري: بَابُ الحَلِفِ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ».

---

٩٦ صحيح مسلم ٢٧٠٨

٩٧ صحيح مسلم ٢٧٠٩

٩٨ صحيح أبي داود ٣٨٩١ وابن ماجه ٣٥٢٢ والسلسلة الصَّحيحة ١٤١٥

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا». وَقَالَ أَيُّوبُ: «وَعِزَّتِكَ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»[٩٩].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»[١٠٠].

فأعوذ بكلمات الله التامات دالة على أن كلام الله ليس بمخلوق. وقدرة الله: القدرة صفة ذاتية لله تبارك وتعالى، وجميع صفات الله كالله في دوامها وقدسيتها وعظمتها. والصفات ليست هي الله، بل هي غير الله ولكنها لازمة له باقية ببقائه سبحانه. فصفات الله عز وجل كالله ليست مخلوقة.

قال: «وكلمات الله وقدرة الله ونعته وصفاته كاملات»

أي: كل صفات الله فيها الكمال والجمال والجلال. كاملة كمالا تاما لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فجلت صفات ربنا عز وجل عن النقص أو الحدثان.

قال: «غير مخلوقات دائمات أزليات»

أي: دائمة بدوام الله عز وجل، وهو واجب الدوام والوجود، جلّ وعلا، أزليات باقيات دائما ببقاء الله تبارك وتعالى.

---

٩٩ صحيح البخاري ٦٦٦١

١٠٠ صحيح البخاري معلقا

قال: «وليست بمحدثات فتبيد»

أي: ليست مخلوقة؛ لأنها لو كانت مخلوقة لبادت؛ لأن الله، عز وجل، خلق الخلق بصفاته، والخلق يبيدون ومعهم صفاتهم.

ما خلق ربنا، عز وجل، شيئا إلا وله صفات؛ لأن الله، عز وجل، هو المصور. والمصور: هو من يضع صورا وصفات لمخلوقاته، سبحانه، عز وجل، فأنت ترى الجبل له صفات، والجمل له صفات، والسماء لها صفات، والبحر له صفات، كل المخلوقات لها صفات، الحشرات والدواب والنباتات والإنس والجن والملائكة كلها لها صفات، تلك المخلوقات تبيد؛ لأن ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ الرحمن: ٢٦ و﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ القصص: ٨٨

هذه المخلوقات تبيد وتفنى بصفاتها؛ لأنها محدثة وصفاتها محدثة. أما صفات الله، عز وجل، فهي لازمة له، وهي كهو، دائمة أزلية باقية لا تفنى ولا تبيد أبدا.

قال: «ولا كان ربنا ناقصا فيزيد»

سبحان الله جل عن كل عيب ونقصان. فالكمال كله لله جل وعلا.

والنقص من صفات المخلوقين، والكمال من صفات الخالق جلّ وعلا. وإذا أشكل عليك قول أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه

وسلم: «كَمُلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[١٠١].

يعني أن الله أنعم عليهم وكمّلهم بين المخلوقين بكريم الصفات، وبما يشاء؛ فهناك رجال كاملون من جهة الخلق والأمانة والصدق والإخلاص، لكنهم يموتون. قال الله عز وجل، لأكمل خلقه، وهو محمد، صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الزمر: ٣٠

وقد مات رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ودفنه الصحابة وصلوا عليه. فالكمال الموجود في المخلوقات هو كمال يكملهم الله به. أما الكمال الدائم الباقي الأزلي فهو كمال الله عز وجل، وكمال صفاته تبارك وتعالى.

قال: «جلت صفاته عن شبه صفات المخلوقين»

يوجد بين صفات الله وصفات المخلوقين قدر مشترك وقدر فارق، من نفى القدر المشترك فقد عطّل الله عز وجل عن صفاته، فهو جهمي.

أما من نفى القدر الفارق بين صفات المخلوقين وصفات الله فقد مثل الله بخلقه فهو من الممثلة المجسمة، نعوذ بالله من ذلك.

يعني مثلا الإنسان موصوف بالسمع، والله عز وجل موصوف بالسمع، فهنا قدر مشترك: يعني قدر في الإسم، وهو السمع.

---

١٠١ متفق عليه: البخاري ٣٢٣٠ ومسلم ٢٤٣١

ولكن هناك قدر فارق هائل جدا لا يعلم مداه إلا الله، سبحانه عز وجل:

فسمع المخلوق سمع لم يكن ثم كان، والله خلق سمعه فيه وزوده به حين خلقه.

ثم إن هذا السمع محدود مناسب للإنسان على قدره؛ فله مدى معلوم لا يزيد عليه بحال من الأحوال. وإذا اختلطت الأصوات تشتت سمعه فلم يعد يدرك شيئا من هذه المسموعات كلها. ثم إن هذا السمع يزول عن الإنسان، وقد يزول عنه وهو حي، وإن لم يذهب، فإنه يذهب حين يموت.

فسمع الإنسان محدود زمانا ومكانا وقدرة ومدى، أمّا الله عز وجل فالكمال كله والجلال كله له، فسمع الله من صفات الله تبارك تعالى أزلية قديمة أولية كأوليته سبحانه، تبارك وتعالى، وليس كسمع الإنسان الذي لم يكن موجودا أصلا.

وسمع الله تبارك وتعالى لا محدود أحاط بكل شيء. أما سمع الإنسان فلا يعلم إلا ما يبلغه. وإذا اختلطت الأصوات على الإنسان اضطرب أما الله عز وجل لا يشغله سمع عن سمع ولا يضيق ولا يتبرم من إلحاح الملحين من سؤاله؛ فهو الذي يسمع ضجيج الأصوات على اختلاف اللغات مع تفنن الحاجات فلا يشغله سمع عن سمع.

وسمعه باق دائم بدوامه جلّ وعلا، فهذا قدر فارق. فالممثل يعبد صنما والمعطل يعبد وهما.

«وكلمات الله وقدرة الله ونعته صفاته كاملات غير مخلوقات دائمات أزليات وليست بمحدثات فتبيد ولا كان ربنا ناقصا فيزيد. جلت صفاته عن شبه صفات

المخلوقين وقصرت عنه فطن الواصفين، قريب بالإجابة عند السؤال بعيد بالتعزز لا ينال. عال على عرشه بائن من خلقه موجود وليس بمعدوم ولا بمفقود»

كلمات الله : صفة الله عز وجل، فهي كاملات تامات، كما سبق بيانه.

وأن القرآن ليس بمخلوق فيبيد فالمخلوقات لا بد أن تبيد. أما القرآن لا يمكن أن يبيد؛ لأنه ليس بمخلوق. فالقرآن من صفات الله تبارك وتعالى يعني الذين يقولون القرآن صفة الله هم يقصدون من صفة الله يعني صفة لله اسمها الكلام؛ فالقرآن من الكلام، واللفظ من صفة الكلام ومن صفته القول. فالقرآن ليس بمخلوق فيبيد وإن كان سيرتفع من الصدور ومن السطور فلا يجد الناس منه شيئا لا في صدورهم ولا بين سطورهم ولا في مصاحفهم

هذه أهم نقطة في المتن كله بالنسبة له. أهم نقطة؛ لأنه متهم بأنه قال بخلق القرآن فألف هذا المتن ليثبت أنه لم يقل به، ولكنه سكت لأن الشافعي وتلامذة الشافعي، رحمهم الله، اجتنبوا الفتنة وسكتوا. ماعدا الإمام البويطي. والمزني هو أقرب تلميذ للشافعي، رحمه الله، لازمه حتى مات، والبويطي أيضا من ملازمي الشافعي، ولكن قبضوا عليه وقالوا: لابد أن تقول القرآن مخلوق. فأبى أن يقول القرآن مخلوق فبقي في القيود والسجن حتى مات.

أما المزني وهو كما قلنا من أقرب وأخص تلاميذ الشافعي، فقد سكت. وكان ممن وسعه السكوت في هذه الفتنة.

ولذا فإن اللالكائي، وهو من قرناء البويطي، أخرج بإسناده عن إبراهيم عن أبي داوود البرنصي المصري -ومعظم تلامذة الشافعي مصريون؛ لأنه هو جاء إلى مصر

فشرفت به واستقر بها حتى مات- قال كنا عند نعيم بن حماد جلوسا فقال نعيم بن حماد للمزني –قاصدا- ما تقول في القرآن؟ قال: أقول: إنه كلام الله.

فقال: غير مخلوق؟

قال: غير مخلوق.

قال: وتقول إن الله يرى يوم القيامة؟

قال: نعم.

فلما افترق الناس، قام المزني إليه، فقال: يا أبا عبد الله شهرتني. يعني كشفت ما عندي، فربما أفتن ويضيق علي وأسجن كما حدث مع البويطي. شهرتني على رؤوس الناس؟

فقال: إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك.

فهنا أراد أن يبرئه، وبرأه فعلا. ونجاه الله.

وقدرة الله : كاملة أيضا بلا عجز، مثل قوته فهي بلا ضعف. فقدرة الله تبارك وتعالى هي من أعظم صفات الله، بل هي الصفة الأولى، التي يدل عليها العقل، عند الأشعرية.

ونعته : يعني وصفه

وكلمة " نعت": لم ترد في القرآن ولا في السنة، وإنما هي خبر، مرادف لكلمة صفة. والخبر لا بأس به إذا قبله أهل العلم.

وصفات الله كاملات؛ لأن كل صفة لابد أن يكون فيها الكمال.

دائمات أزليات: يعني صفات الله أولية كهو وآخريه كهو، لها الدوام. يعني ربنا ما كان سميعا ثم الآن سيصير سميعا، بل كان سميعا وسيظل سميعا ويبقى دائما سميعا، وهو قدير ويبقى قديرا ويظل قديرا، سبحانه عز وجل، فالصفات صفات الله سرمدية أزلية أبدية، سبحان ربي.

وليست بمحدثات فتبيد: أي ما حدثت صفة لله بعد أن لم تكن.

كلمة حادثة أعم من المخلوق؛ فكل مخلوق حادث، وليس كل حادث مخلوق، فآحاد الصفات الفعلية حادثة وليست مخلوقة؛ لأن الله لما كان ولم يكن شيء معه، ما كان مستويا على العرش، فلمّا استوى كان هذا إحداث حوادث من صفته الأزلية فإنه فعال لما يريد، فتمت بمشيئته، ولذا نقول الصفات الفعلية قديمة النوع حادثة الآحاد.

فكل مخلوق حادث، وليس كل حادث مخلوق، فصفات الله ليست بمحدثات هنا في نوعها وأصلها، وليست مخلوقات؛ لأنها لو كانت مخلوقات فإنها تبيد.

ولا كان ربنا ناقصا فيبيد: يعني صفاته لازمة له من الأزل، وتحدث آحادها وتظهر آثارها، حين يشاء سبحانه.

وأسماؤه كلها صفات، فكل اسم حتما يتضمن صفة كمال

وهل الله عز وجل علمنا جميع أسمائه؟

لا، بل هناك أسماء احتفظ بها سبحانه، وهذه الأسماء حتما فيها صفات. ولذا نحن سيجد علينا العلم بصفات أخرى لم نكن نعلمها. هي لازمة له تبارك وتعالى، سيعلمها محمد، صلى الله عليه وسلم، حين يفتح الله عز وجل عليه بمحامد. ومن ضمن المحامد أسماء حسنى تتضمن صفات أخرى. فعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ....فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»[١٠٢].وفي لفظ: «فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ»[١٠٣].

وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي»[١٠٤].

وفي لفظ: «ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي»[١٠٥].

---

١٠٢ متفق عليه: البخاري ٧٥١٠ ومسلم ١٩٣

١٠٣ متفق عليه: البخاري ٤٤٧٦ و ٦٥٦٥ و ٧٤١٠ و ٧٤٤٠ ومسلم ١٩٣

١٠٤ متفق عليه: البخاري ٤٧١٢ ومسلم ١٩٤

١٠٥ صحيح: الترمذي ٢٤٣٤

هل معنى ذلك إن الله زادت له صفة؟

لا بل هو دائم بكل صفاته وهي لازمة له، ولكن سيتجدد لنا علم بصفات كانت خفية عنا في الدنيا، كانت من الغيب ولا نعلم شيئا عنه سبحانه إلا بما علمنا هو، أو أخبرنا رسوله، صلى الله عليه وسلم.

قال: «جلت صفاته عن شبه صفات المخلوقين»

والأولى أن يقال: جلت صفاته عن مماثلة صفاتهم؛ لأن الله لم ينف الشبه وإنما نفى المثلية، فقال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١

فكلمة "المثل" أولى من كلمة "الشبه"، فهنا جلت صفاته عن شبه صفات المخلوقين، وإن اتفقت معها في الاسم فهو سميع وأنت سميع وهو بصير وأنت بصير وهو عليم وفلان عليم، وهو قوي والأسد قوي وهو قدير وغيره قدير.

فصفات الله تبارك وتعالى تشترك في الإسم مع صفات خلقه، يعني كثير جدا من صفات الرب تتفق في الإسم مع صفات خلقه. ولكن جلت عن المثلية، بل هي مجرد شبه في الإسم، ولله المثل الأعلى.

كما ذكر ابن تيمية، رحمه الله، كثمرات الدنيا تشبه ثمرات الاخرة في الإسم فقط؛ فرمان الدنيا متفق مع رمان الآخرة في الإسم فقط، وأعناب الدنيا متفقة مع أعناب الجنة في الإسم فقط. ولكن هذه غير هذه تماما. وهذا مخلوق يخالف مخلوقا، فما بالنا بصفة لمخلوق تشتبه مع صفة خالق في الاسم فقط لا غير.

قال: «وقصرت عنه فطن الواصفين»

فطن: يعني عقول وتصورات الواصفين. فمن أراد أن يصف الله، عز وجل، فلا بد أن يحدث له قصور وعجز ويرتد إليه فكره وهو حسير.

إذا أردت أن تبين لي كيف يستوي أو كيف يخلق أو كيف يضحك أو كيف يعجب أو كيف يغضب أو يسخط أو كيف ينزل، تبارك وتعالى. لا تستطيع؛ لأن فطنتك التي هي عقلك وعقول غيرك كلها تقصر عن أن تصل إلى الإحاطة بكيفية صفة الرب، عز وجل.

فهنا نفى إمكانية إدراك الكيفية، ولم ينف الكيفية، فهناك كيفية، لكن لا يمكن إدراكها أبدا، فهو سبحانه وحده المحيط بذلك.

قال: «قريب بالإجابة عند السؤال»

ومن أسماء الله القريب، قال الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦

وقال: ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود: ٦١

وقال: ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ سبأ: ٥٠

بل قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق: ١٦

قال السعدي، رحمه الله: "القريب، المجيب" أي: هو تعالى القريب من كل أحد، وقربه تعالى نوعان:

قرب عام من كل أحد، بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته.

وقرب خاص، من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو قرب لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره، من لطفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقه وتسديده. ومن آثاره الإجابة للداعين، والإنابة للعابدين"[١٠٦].

فهو قريب يجيب المضطر إذا دعاه. ولذا لابد أن تحب الدعاء، حتى لو لم يستجب؛ لأنه هو سبحانه وتعالى حين تدعوه فأنت تؤكد يقينك أن الله قريب، وتؤكد يقينك أنك عبد محتاج ذليل تتوسل إليه، وتؤكد يقينك بأن الله قادر على أن يعطيك ما تدعوه وأن يجيبك إلى ما تدعوه.

هذه كلها مهمة جدا في الدعاء. لو لم يكن إلا هذا في الدعاء لكفى. فما بالك لو دعوت واستجاب. وإذا دعوت ولم يستجب فإنك تأخذ عشر حسنات على الدعاء. الدعاء هو العبادة. فالدعاء في حد ذاته عبادة سواء استجاب الله لك أو لم يستجب. فلذا لا ينبغي أن يمل الإنسان من الدعاء ولذا ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] هذا أمر من الله أدعوني أستجب لكم

قال: «بعيد بالتعزز لا ينال»

يعني عظيم العزة، والعزة من أعظم الصفات الذاتية لله، تبارك وتعالى. وهو بعيد بالتعزز: أي عزيز سبحانه لا يرام، ولا ينال منه ولا يقدر الناس على شيء لله تبارك وتعالى أبدا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ آل عمران: ١٧٦

---

١٠٦ تفسير السعدي ٣٤٩/١

وقال في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني»[١٠٧].

وإن كان المجرمون يؤذون الله، فمعناها: أنهم لا يضرونه وإنما يفعلون ما يغضبه فقط. وهو يلعنهم وينتقم منهم ويعذبهم العذاب المهين. قال تعالى، مُتَهَدِّدًا وَمُتَوَعِّدًا مَنْ آذَاهُ بِمُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ وَارْتِكَابِ زواجره وإصراره على ذلك وإيذاء رسوله بعيب أو بنقص: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٧

ومن إيذائه سب الدهر؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: « يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[١٠٨].

قال ابن عثيمين، رحمه الله: «الأذية قد تحصل، لكن لا تضر، وفرق بين الضرر والأذى، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني» ... فأثبت الأذى ونفى الضرر، وهذا ممكن، ألا ترى الرجل يتأذى برائحة البصل ونحوه، ولا يتضرر بها[١٠٩].

قال: « عال على عرشه »

هذا خبر عن علوه سبحانه، مع العلم أن "العالي" ليس من أسماء الله عز وجل، وإنما من أسماء الله: "الأعلى" و "العلي" و " المتعال" و"الظاهر".

---

١٠٧ صحيح مسلم (٢٥٧٧)

١٠٨ متفق عليه: البخاري ٤٨٢٦ و ٧٤٩١ و ٦١٨١ ومسلم ٢٢٤٦

١٠٩ مجموع فتاوى ابن عثيمين ٨/٦٩١

وهو سبحانه على عرشه لا يترك عرشه، ولا يحتاج إلى عرشه، وينزل بعرشه سبحانه، في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، دون أن تعلوه سماء، فهو ينزل مع أنه فوق العالم سبحانه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا دون أن يعلوه شيء، ولا يحيط به شيء. وينزل عشية عرفة وهو على عرشه، وينزل يوم القيامة إلى الأرض هذه ليفصل بين الناس، والملائكة تنزل، وينزل حملة العرش يحملون عرش الله إلى الأرض، والله عز وجل يقضي بين الخلائق، ولا ندري كيف يستقر رغم أن العرش نفسه أكبر من الأرض وأكبر من جميع المخلوقات، هذا شيء غيبي فوق تخيلنا، وفوق تصورنا، بكل حال، فينزل ربنا عز وجل ويجيء ويأتي وهو على عرشه بائن من خلقه.

موجود: سبحانه هو واجب الوجود بذاته، جل وعلا، وكل موجود فهو ممكن، أوجده هو سبحانه.

الموجود ليس من أسماء الله، وإنما هو خبر عنه، ووصف له:

قالت اللجنة الدائمة:

"وجود الله معلوم من الدين بالضرورة، وهو صفة لله بإجماع المسلمين، بل صفة لله عند جميع العقلاء حتى المشركين، لا ينازع في ذلك إلا ملحد دهري. ولا يلزم من إثبات الوجود صفة لله أن يكون له مُوجِد؛ لأن الوجود نوعان:

الأول: **وجود ذاتي** وهو ما كان وجوده ثابتا له في نفسه لا مكسوبا له من غيره، وهذا هو وجود الله سبحانه وصفاته، فإن وجوده لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③ ﴾ الحديد: ٣

الثاني: **وجود حادث** وهو ما كان حادثا بعد عدم، فهذا الذي لا بد له من مُوجِد يوجده وخالق يُحْدِثه وهو الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ الطور: ٣٥ - ٣٦

وعلى هذا يوصف الله تعالى بأنه موجود ويخبر عنه بذلك في الكلام فيقال الله موجود، وليس الوجود اسما، بل صفة.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم"[١١٠].

وقال الشيخ الألباني – ردا على من قال له: متأخرو الأشاعرة نفوا لفظ: موجود، فقالوا: لأن لفظ موجود يقتضي مُوجِداً، فهو واجب الوجود، فهربوا في شرح البيجوري وكذا، هربوا من لفظ موجود، قالوا: لا نقول: موجود؛ لأن الموجود يثبت مُوجِداً، والله واجب الوجود!؟

فقال رحمه الله : ".. الله عز وجل كما قلنا في أثناء الكلام: هو واجب الوجود، لكن كونه واجب الوجود ما ينفي أن يكون قائماً وجوده، فنترك كلمة موجود، قائماً وجوده متحققاً وجوده، فحينئذ هم يفرون من المناقشة تمسكاً بلفظ لا يقدم ولا يؤخر.

---

١١٠ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الفتوى رقم (٦٢٤٥).

إذا قلت إنه موجود، هل يلزم من ذلك مشابهة الخالق بالمخلوق؟

الجواب: لا"[١١١].

وقال: "وجود الله تعالى حقيقي أزلي له صفات

كل المسلمين يشتركون على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم أن الله عز وجل حقيقة، يعني: هو له وجود خارج الكون، وجود حقيقي، وليس هو معنى يتخيله الإنسان. فكل موجود له صفات ولا شك وإلا فهذا يكون خيالاً، فالله عز وجل وجوده حقيقي وأزلي.

ما هي صفات هذا الموجود الأزلي؟ العقل قد يدرك شيئاً منها، ولكن لا يستطيع أن يستقصي الصفات كلها إلا بطريق النقل الذي هو عبارة عن الكتاب والسنة، فإذا جئنا إلى هذه النصوص التي وردت في الكتاب والسنة تصف هذا الموجود الحقيقي، وهو واجب الوجود سبحانه وتعالى بصفات"[١١٢].

وقال ابن عثيمين:

"والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

الإيمان بربوبيته؛ أي: الانفراد بالربوبية.

---

١١١ الهدى والنور" (٢٨١/ ٣٣: ٠٠: ٠٠)

١١٢ دروس الشيخ الألباني٩/٣٧

الإيمان بانفراده بالألوهية.

الإيمان بأسمائه وصفاته. لا يمكن أن يتحقق الإيمان إلا بذلك.

فمن لم يؤمن بوجود الله، فليس بمؤمن، ومن آمن بوجود الله لا بانفراده بالربوبية؛ فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية لا بالألوهية، فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية والألوهية لكن لم يؤمن بأسمائه وصفاته؛ فليس بمؤمن"[١١٣].

وهل نسمي الله الواجد؟ لا ليس الواجد من أسماء الله.

[الْآجَال]

قال: «والخلق ميتون بآجالهم عِنْد نفاد أَرْزَاقهم وَانْقِطَاع آثَارهم»

فلكل أمة أجل لا يمكن تجاوز هذا الأجل بحال من الأحوال أبدا:

قال الله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يونس: ٤٩] أَيْ إذا حان وَقْتُ انْقِضَاءِ أَجَلِهِمْ. فَلا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَسْتَأْخِرُوا سَاعَةً بَاقِينَ فِي الدُّنْيَا ولا يتقدمون فيؤخرون. كل واحد له أجله إذا جاء الأجل فلا يمكنه الفرار من الأجل ولا تأخيره ولا تعجيله.

وكل الخلق سيموتون، وما كتب عليه الهلاك أو الفناء فلا بد أن يهلك، إلا ما أراد الله بقاءه، كالعرش والكرسي والصور.

---

١١٣ مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٨/٤١

وهل الروح تموت؟ نعم تذوق الموت؛ لأن الموت هو فراق الروح للجسد، لكن بعد ذوق الفراق هل تفنى أم لا؟ الروح لا تفنى. فهي تموت ولا تفنى

قال:«**عند نفاد أرزاقهم**» جعل الله عز وجل رزقا لكل مخلوق، وربط هذا الرزق بحياة المخلوق. حين يقدر الله نهاية أجل المخلوق بكون عند نهاية رزقه؛ فلا يمكن لمخلوق أن يموت قبل أن يأخذ آخر شيء في رزقه، ويتنفس آخر نفس له، ويتناول آخر شربة، وآخر لقمة، آخر رزق: أي رزق معنوي: عبادة، خشوع، خضوع، أو مادي لا بد يحصله الإنسان.

فإذا انقطع أجله، كان معه انقطاع رزقه. وكل هذا مقدر عند الله تبارك وتعالى؛ لأن من أسمائه الرزاق والرازق .

فكل إنسان له رزق لا بد أن يحصله، وربنا عز وجل غني سيديم الأرزاق للمؤمنين في الجنة. قدر الله أن يموت المخلوقون، وأن يحصلوا على جميع أرزاقهم، فتنفذ أرزاقهم وتنقطع آثارهم. فلن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»[١١٤].

---

١١٤ صحيح ابن ماجه ٢١٤٤

فالإنسان لا بد أن يكون عزيزا في الطلب فلا يملك أحد رزقه. وهذا من تمام العبودية بربوبية الله في الرزق، والرزق من تدبير الله ومن خلق الله ومن ملك الله فربنا خلق الأرزاق وملك الأرزاق ووزع الأرزاق.

ولذا لما قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ»[١١٥].

ولذا كره كثير من أهل العلم الدعاء بطول العمر. فَقَدْ قَالَ: بَعْضُهُمْ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ إبْلِيسُ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ طُولَ الْبَقَاءِ.

والراجح ما قاله بعض أهل العلم بجواز ذلك.

فقد مَرَّ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، رضي الله عنه، بِرَجُلٍ هَيْئَتُهُ هَيْئَةُ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، فَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِ عُقْبَةُ: وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي عَلَى مَنْ رَدَدْتَ؟ فَقَالَ: أَلَيْسَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ؟ فَقَالُوا: لَا، وَلَكِنَّهُ نَصْرَانِيٌّ، فَقَامَ عُقْبَةُ فَتَبِعَهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ، فَقَالَ: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، لَكِنْ، أَطَالَ اللهُ حَيَاتَكَ، وَأَكْثَرَ مَالَكَ»[١١٦].

---

١١٥ صحيح مسلم ٢٦٦٣

١١٦ حسن: رواه البيهقي ١٨٥٠٤ وحسنه الألباني في الإرواء ١٢٧٤

قال الألباني رحمه الله: في هذا الأثر إشارةٌ مِن هذا الصحابي الجليل إلى جوازِ الدعاءِ بطولِ العمر، ولو للكافر، فللمسلمِ أولى[١١٧].

وقال: وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رحمه»[١١٨].

"ينسأ له في أثره" قال الترمذي: " يعني به: الزيادة في العمر".

فالحديث على ظاهره، أي: أن الله جعل بحكمته صلة الرحم سبباً شرعياً لطول العمر. وكذلك حسن الخلق وحسن الجوار كما في بعض الأحاديث الصحيحة، ولا ينافي ذلك ما هو معلوم من الدين بالضرورة أن العمر مقطوع به؛ لأن هذا بالنظر للخاتمة، تماماً كالسعادة والشقاوة، فهما مقطوعتان بالنسبة للأفراد؛ فشقي أو سعيد، فمن المقطوع به أن السعادة والشقاوة منوطتان بالأسباب شرعاً كما قال صلى الله عليه وسلم: « اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له، فمن كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فسيُيسر لعمل أهل السعادة، ومن كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُ لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٥ – ١٠] »[١١٩].

---

١١٧ صحيح الأدب المفرد ح١١١٢

١١٨ صحيح أبي داود ١٤٨٦

١١٩ صحيح مسلم ٢٦٤٧

فكما أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته بالطاعة ونقصانه بالمعصية، وأن ذلك لا ينافي ما كتب في اللوح المحفوظ، فكذلك العمر يزيد وينقص بالنظر إلى الأسباب؛ فهو لا ينافي ما كتب في اللوح أيضاً.

وسئل الشيخ ابن باز، رحمه الله: هل يجوز الدعاء بطول العمر؟ أم أن العمر مقدر ولا فائدة من الدعاء بطوله؟.

فأجاب: لا حرج في ذلك، والأفضل: أن يقيده بما ينفع المدعو له، مثل أن يقول: أطال الله عمرك في طاعة الله، أو في الخير، أو فيما يرضي الله.

ومعلوم أن الدعاء لا يخالف القدر، بل هو من القدر؛ كالأدوية، والرقى، ونحو ذلك.

وكل الأسباب التي لا تخالف شرع الله فهي كلها من القدر.

وقدر الله ماض في حق المريض والصحيح، ومن دعي له ومن لم يدع له، لكن الله سبحانه أمر بالأسباب المشروعة والمباحة، ورتب عليها ما يشاء سبحانه، وكل ذلك من قدر الله»[١٢٠].

وقال الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله: وأحب أن يقيد طول العمر على طاعة الله فيقال: أطال الله بقاءك على طاعته، أو أطال الله عمرك على طاعته؛ لأن مجرد طول العُمر قد يكون خيراً وقد يكون شرّاً فإن «شرَّ الناس من طال عمره وساء عمله»[١٢١]. وعمر الإنسان في الحقيقة ما أمضاه بطاعة الله عز وجل. أما مالم يمضه

---

١٢٠ مجلة الدعوة في العدد (١٣٠٧) بتاريخ ٤ \ ٣ \ ١٤١٢ هـ

١٢١ صحيح الترمذي ٢٣٣٠، صَحِيح الْجَامِع: ٣٢٩٧ ، الصَّحِيحَة ١٨٣٦

بطاعة الله فإنه خسران فإما أن يكون عليه وإما أن يكون لا له ولا عليه. وهذه النقطة أكثر الذين يدعون بذلك إنما يريدون البقاء في الدنيا فقط[١٢٢].

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لأنس بن مالك رضي الله عنه بطول العمر.

فروى البخاري " باب من دعا بطول العمر، عن أنس، رضي الله عنه، قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل علينا أهل البيت، فدخل يوما فدعا لنا فقالت أم سليم: خويدمك ألا تدعو له؟ قال: (اللَّهُمَّ أكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر له) .فدعا لي بثلاث، فدفنت مائة وثلاثة [يعني: من أولاده وأحفاده]، وإن ثمرتي لتطعم في السنة مرتين، وطالت حياتي حتى استحييت من الناس، وأرجو المغفرة»[١٢٣].

[الْقَبْر]

قال: «ثم هم بعد الضغطة في القبور مساءلون وبعد البلى منشورون ويوم القيامة إلى ربهم محشورون»

هذه الضغطة لا بد أن يتعرض لها كل واحد.

وهل يستثنى منها الأنبياء والشهداء والصديقون؟

لم يرد أي دليل على استثناء أي أحد، فيبقى الأصل أن الجميع يذوقونها؛ لأن سعد بن معاذ، وقد مات شهيدا، لم يستثن منها، وقال النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلْقَبْرِ

---

١٢٢ مجلة الدعوة في العدد (١٣٠٧) بتاريخ ٤ \ ٣ \ ١٤١٢ هـ

١٢٣ حسن: الأدب المفرد" (٦٥٣) وحسنه الألباني في "صحيح الأدب" (٨٥١)

ضَغْطَةٌ لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ، لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»[١٢٤].

وقال الألباني رحمه الله: "وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب، فنسأل الله تعالى أن يهون علينا ضغطة القبر إنه نعم المجيب"[١٢٥].

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال عن سعد بن معاذ، رضي الله عنه: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْه»[١٢٦].

وعن أبي أيوب، رضي الله عنه: أن صبيًا دُفِنَ، فقالَ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ القَبْرِ لَأَفْلَتَ هَذَا الصَبِيُّ»[١٢٧].

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، ضمة القبر في أسباب مغفرة الذنوب، قال: « السبب الثامن ما يحصل فى القبر من الفتنة والضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا»[١٢٨].

وقال الذهبي، رحمه الله: « هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه

---

١٢٤ صحيح الترمذي ١٠٧١ابن حبان ٣١١٢ والسلسلة الصحيحة ١٦٩٥

١٢٥ السلسلة الصحيحة ١٦٩٥

١٢٦ صحيح النسائي ٢٠٥٥

١٢٧ صحيح: الطبراني " المعجم الكبير (٤/١٢١) وصححه االألباني: السلسلة الصحيحة ٢١٦٤

١٢٨ مجموع الفتاوى (٧/٥٠٠)

من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. .. ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ...فنسأل الله تعالى العفو واللطف الخفي»[١٢٩].

وقال الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله: «فإن ضمة الأرض للمؤمن ضمة رحمة وشفقة، كالأم تضم ولدها إلى صدرها، أما ضمتها للكافر فهي ضمة عذاب والعياذ بالله،.. فيضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه والعياذ بالله، يدخل بعضه في بعض من شدة الضم، ففرق بين ضم الأرض للكافر أو المرتد وضمها للمؤمن»[١٣٠].

قال: «مساءلون»

تواترت الأحاديث الصحيحة في سؤال الملكين للميت، بعد دفنه، فعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ - أَوِ المُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ "[١٣١].

---

١٢٩ سير أعلام النبلاء " (١/٢٩٠-٢٩٢)

١٣٠ لقاءات الباب المفتوح " رقم/١٦١، سؤال

١٣١ متفق عليه: البخاري ١٣٣٨ ومسلم ٢٨٧٠

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " .. وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] " الْآيَةُ قَالَ: " فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا» قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: " وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ " قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا» قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ» "[١٣٢].

والفتنة عامة لكل ميت إلا الشهيد ومن مات مرابطًا في سبيل الله وكذلك الرسل لا يُسألون لأنهم المسؤول عنهم.

---

١٣٢ صحيح: رواه أبو داود ٤٧٥٣ وصحيح الجامع ١٦٧٦

وَعَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: "كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً"[١٣٣].

فالرسل لا يساءلون في القبر؛ لأنهم المسؤول عنهم

والشهداء لا يسئلون في قبورهم، فكفى ببارقة السيف فتنة

والصديقون أعلى من الشهداء فلا يسئلون كذلك.

فإياك أن تتخيل كما يزعم «كشك» أو غيره إن الملكين أتيا إلى عمر فقال: من ربكما؟ هذا كلام غير صحيح. لماذا؟

لأن عمر هو الإمام الشهيد الأول في الإسلام.

وعثمان بن عفان هو الإمام الشهيد الثاني

وعلي بن أبي طالب هو الإمام الشهيد الثالث.

أما مثل حسن البنا فلا هو إمام ولا شهيد، بل هو خارجي من كبار المجرمين.

فالشاهد هنا أن منكر ونكير لا يسألان الصديق أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا أو الحسين؛ لأن النبي، صلى الله عليه وسلم جزم بأن الشهيد لا يسئل في قبره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ،

---

١٣٣ صحيح: النَّسائيُّ ٢٠٥٣ وصحيح الجامع ١٦٧٦

فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[١٣٤].

أما أن منكرا ونكيرا يقعدانه، فنؤمن به ولا ندري كيف. الأرض عليه والحجارة فوقه وهو مفتت تفتيتا كشهيد الآخرة مثلا: وهو الحريق والغريق والمهدوم. عن جَابِرَ بْنَ عَتِيكٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ»[١٣٥].

فيمكن أن يفتته الهدم تماما. وهل يسئل في قبره؟ نعم.

فالذي لا يسئل هو شهيد الدنيا، أي شهيد المعركة. أما شهيد الآخرة فلا.

---

١٣٤ حسن: صحيح الترمذي ١٠٧١

١٣٥ صحيح أبي داود ٣١١١

وكلها أمور غيبية لا يمكن الوصول إليها أبدا، لكن نسلم بها ونثبت عذاب القبر، على خلاف أهل الضلال الذين ينكرون عذاب القبر، نعوذ بالله. والعذاب في القبر عذاب إما دائم ومستمر إلى يوم يبعثون، وهذا على الكفار والمنافقين.

وأما عصاة الموحدين أصحاب المعاصي: فهناك معاصي ورد فيها العذاب، لأهل الربا ولأهل الزنا ولتارك الصلاة وتارك القرآن وللمرأة التي ترفض أن ترضع طفلها، فتعلق من ثديها.

فعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ، عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى

الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، ....قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالاَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا»(١٣٦).

لكن هل ورد للأنواع الاخرى؟

نقول مثلا السارق لم يثبت عذابه في القبر، فهل نجزم بأنه يعذب في القبر؟ لا بل نتوقف، لا نثبت ذلك.

فعصاة الأمة المحمدية الذين يعذبون في قبورهم لا يدوم عذابهم؛ فهو عذاب منقطع وليس مستمرا.

ومن ذلك عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»(١٣٧).

---

١٣٦ **متفق عليه: البخاري ١٣٨٦ و ٧٠٤٧ ومسلم ٢٢٧٥**

١٣٧ **متفق عليه: البخاري ٢١٨ و ١٣٦١ و ١٣٧٨ و ٦٠٥٢ و ٦٠٥٥ ومسلم ١١١**

[النشور والحساب]

قال:«وبعد البلى منشورون» كل ميت لا بد أن يبلى جسده، إلا من شاء الله، فأجساد الأنبياء لا يمكن أن يصيبها البَلى أبدا، ولا ينتفخ ولا يرم ولا يبلى ولا يتعفن، ولا يقترب منه دود ولا غيره أبدا أبدا.

فعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»[١٣٨].

ويمكن لغير الأنبياء والمرسلين ألا تبلى أجسادهم، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، كرامات لبعض الأولياء، ومنهم شهداء أحد، فمعظم أجسادهم كما هي سنين طويلة.

فعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنِّي لاَ أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، «فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرٍ،

---

١٣٨ صحيح أبي داود ١٠٤٧ و ١٥٣١

ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ»[١٣٩] .

وقد روى الترمذي في قصة أصحاب الأخدود حديثاً طويلاً عَنْ صُهَيْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر في آخره: فَوَضَعَ الغُلَامُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ حِينَ رُمِيَ، ثُمَّ مَاتَ،... فَأَمَّا الغُلَامُ فَإِنَّهُ دُفِنَ " قَالَ: فَيُذْكَرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَإِصْبَعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ"[١٤٠].

وخلاصة الأمر أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء فقط، وأما الشهداء فقد تأكل الأرض أجسادهم كغيرهم من الأموات، وقد لا تأكل أجسادهم، وهي كرامات لبعضهم.

فجميع بني آدم تأكلهم الأرض، ولا يبقى من أجسادهم شيء إلا عجب الذنب، وهو عظم صغير في أسفل الظهر.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١٤١].

قال: «ويوم القيامة إلى ربهم محشورون»

---

١٣٩ صحيح البخاري ١٣٥١

١٤٠ صحيح: الترمذي ٣٣٤٠

١٤١ متفق عليه: البخاري ٤٨١٤ و ٤٩٣٥ ومسلم ٢٩٥٥.

يعني مجموعون، فالحشر هو الجمع ولذا يوم القيامة هو يوم الحشر وهو يوم الجمع كذلك.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»[١٤٢].

قال: «ولدى العرض عليه محاسبون»

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الحجر: ٩٢ - ٩٣

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الزخرف: ٤٤

فالكل سيعرض، فعَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها، قَالَتْ: «كُنْتُ لَا أَسْمَعُ شَيْئًا لَا أَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعْتُ فِيهِ حَتَّى أَعْرِفَهُ، وَإِنَّ النَّبِيَّ، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا عُذِّبَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨] قَالَ: " لَيْسَ ذَاكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، الرَّجُلُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ، ثُمَّ يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهَا، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»[١٤٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الصافات: ٢٠ - ٢٤

---

١٤٢ صحيح البخاري ٣٣٤٩

١٤٣ متفق عليه: البخاري ١٠٣ ومسلم ٢٨٧٦

فالكل يعرض، ومن نوقش الحساب عذب، هذا وعيد، والرب يخلو بالعبد ويقرره بذنوبه؛ فعَنْ صَفْوَانِ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ نَطُوفُ بِالْبَيْتِ، إِذْ عَارَضَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَذْكُرُ النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، ثُمَّ يُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨]»[١٤٤].

ومن الناس من يدخل الجنة بلا حساب، وهم السبعون ألفا في سبعين ألفا. وطبعا لا شك إن هؤلاء إذا كانوا سيدخلون الجنة بلا حساب، فالرسل والأنبياء يدخلون الجنة بلا حساب كلهم.

قال: «بحضرة الموازين»

ينصب الله الموازين، ويزن بها أعمال العباد، فمنهم من يرجح ميزانه وهو السعيد، ومنهم من يخف ميزانه وهو الخاسر الهالك، وهذا يعطى كتابه بيمينه وهو السعيد، وهذا يعطى كتابه بشماله وهو الشقي.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]

---

١٤٤ صحيح ابن حبان ٧٣٥٥ وصححه الألباني: "ظلال الجنة" (٦٠٤ و ٦٠٥)..

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠]، ويقول سبحانه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فجميع أعمال العباد يوفون إياها: إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. تنصب الموازين يوم القيامة، وتوزن فيها أعمال العباد، ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١ ﴾ [القارعة: ٦ – ١١] وهي موازين حقيقية تنصب يوم القيامة، هل هو ميزان واحد أم هي موازين متعددة؟ هذا أيضا من الخلافات في الفروع.

قال فريق من أهل العلم هو ميزان واحد.

وقال آخرون: بل موازين.

وهذا من الخلاف السائغ في فروع العقيدة.

سئل الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله: هل الميزان واحد أو متعدد؟ .

فأجاب: اختلف العلماء في الميزان، هل هو واحد، أو متعدد على قولين؛ وذلك لأن النصوص جاءت بالنسبة للميزان مرة بالإفراد، ومرة بالجمع، مثال الجمع قوله – تعالى -: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ}، وكذلك في قوله: {مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}، ومثال

الإفراد قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيم»[١٤٥]

فقال بعض العلماء: إن الميزان واحد، وإنه جمع باعتبار الموزون، أو باعتبار الأمم، فهذا الميزان توزن به أعمال أمة محمد، وأعمال أمة موسى، وأعمال أمة عيسى، وهكذا، فجمع الميزان باعتبار تعدد الأمم. والذين قالوا: إنه متعدد بذاته قالوا: لأن هذا هو الأصل في التعدد، ومن الجائز أن الله -تعالى- يجعل لكل أمة ميزانا، أو يجعل للفرائض ميزانا، وللنوافل ميزانا. والذي يظهر - والله أعلم - أن الميزان واحد، لكنه متعدد باعتبار الموزون»[١٤٦].

وسئل: كيف توزن الأعمال، وهي أوصاف للعاملين؟.

فأجاب بقوله: القاعدة في ذلك، كما أسلفنا: أن علينا أن نسلم ونقبل، ولا حاجة لأن نقول: كيف؟ ولم؟ ومع ذلك فإن العلماء - رحمهم الله - قالوا في جواب هذا السؤال: إن الأعمال تقلب أعيانا، فيكون لها جسم يوضع في الكفة فيرجح أو يخف، وضربوا لذلك مثلا، بما صح به الحديث عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أن الموت يجعل يوم القيامة على صورة كبش، فينادى أهل الجنة، يا أهل الجنة، فيطلعون ويشرئبون. وينادى يا أهل النار فيطلعون ويشرئبون ما الذي حدث؟ فيؤتي بالموت على صورة كبش، فيقال: هل تعرفون هذا، فيقولون: نعم، هذا الموت

---

١٤٥ متفق عليه: البخاري ٦٣٠٤ ومسلم ٢٦٩٤

١٤٦ مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٤٣/٢ رقم ١٦٨

فيذبح الموت بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت».

ونحن نعلم جميعا أن الموت صفة، ولكن الله - تعالى - يجعله عينا قائما بنفسه، وهكذا الأعمال تجعل أعيانا فتوزن، والله أعلم»[١٤٧]

قال: «ونشر صحف الدواوين» قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤ ﴾ [التكوير: ١٠ – ١٤] فتنشر صحائف الأعمال للحساب. سجلات الصحف، كل إنسان له سجل كيف؟ ما ندري.

تخيل السجلات: يعني أوراق طويلة عريضة أو جلود ضخمة

والآن ممكن تكون شريحة إلكترونية بسيطة جدا، ممكن تكون موجودة في عنقك - ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ - أو شيء آخر؟! لا نعلم.
والمهم أنها شيء مخلوق ومكتوب فيه كل ما فعل العبد، فتنشر صحف الدواوين.
وكل إنسان يرى ما عمله حاضرا ومفصلا من ساعة ما ولد إلى أن يموت، أما الحساب فمن ساعة ما بلغ إلى أن يموت.
﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ۝٤٩ ﴾ الكهف: ٤٩] المؤمن يرى ذلك، والكافر يرى

١٤٧ مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢/٤٣ رقم ١٦٩

ذلك. ولكن المؤمن يرى كل شيء أحصاه الله عز وجل ويرى ما محي وما غفر، فيرفع الكتاب ويقول ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ وأما الكافر فسيرى كل شيء مدونا عليه فيقول ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]

قال: «أَحْصَاهُ الله ونسوه فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خمسين ألف سنة لَو كَانَ غير الله عز وَجل الْحَاكِم بَين خلقه، لكنه الله يَلِي الحكم بَينهم بعدله بِمِقْدَار القائلة فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ أسْرع الحاسبين كَمَا بدأه لَهُم من شقاوة»

فيعاقب الكفار بأن يطيل عليهم اليوم إلى خمسين ألف سنة، ويثيب المؤمنين بأن يكون الحساب فقط من الظهر إلى العصر، وهو أسرع الحاسبين.

ولا يظلم ربك أحدا

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قَالَ: " تَلَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الْآية: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وَقَالَ: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا جَمَعَكُمُ اللهُ كَمَا يُجْمَعُ النَّبْلُ فِي الْكِنَانَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْكُمْ"[١٤٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ..»[١٤٩]

---

١٤٨ صحيح الحاكم ٨٧٠٧ وصححه الألباني: الصَّحيحة: ٢٨١٧

١٤٩ صحيح مسلم ٩٨٧

وعَنْه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، يُهَوِّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ»(١٥٠)

وقال الألباني رحمه الله: وهذا اليوم الطويل هو يوم عسير على الكافرين، كما قال- تعالى -: ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ ، وقال - تعالى-: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾ ، ومفهوم هاتين الآيتين: أنه على المؤمن يسير وهو كذلك، فهذا اليوم الطويل بما فيه من الأهوال، والأشياء العظيمة ييسره الله - تعالى - على المؤمن، ويكون عسيرا على الكافر وهذا يدل على خِفَّة يوم القيامة على المؤمنين»(١٥١). طوله من الظهر إلى العصر، أي مقدار القائلة فقط، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: «يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ»(١٥٢).

[الْجنَّة ورؤية اللّه]

ثم قال رحمه الله : «وأهل الجنة يومئذ في الجنة يتنعمون وبصنوف اللذات يتلذذون وبأفضل الكرامات يحبرون: فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون لا يمارون في النّظر إليه ولا يشكون؛ فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إليه ناظرة، في نعيم دائم مقيم ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار»

---

١٥٠ صحيح ابن حبان ٧٣٣٣ وصححه الألباني: "التعليق الرغيب" (٤/ ١٩٦)، والصحيحة ٢٨١٧

١٥١ الصحيحة ٢٤٥٦

١٥٢ صحيح الحاكم ٢٨٣ وصححه الألباني: الصَّحيحة: ٢٤٥٦

نعيم أهل الجنة دائم مقيم ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الحجر: ٤٥ - ٤٨
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ
سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ
فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾
وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الطور: ١٧ - ٢٨

فأخبر سبحانه أن أهل الجنة في مقام أمين لا يعترضهم خوف ولا زوال نعمة وأنهم آمنون أيضا، فلا خطر عليهم من موت ولا مرض ولا خروج منها ولا حزن ولا غير ذلك من المكدرات، وأنهم لا يموتون أبدا، ومعنى ذلك أن أهل الجنة يخلدون فيها أبد الآباد.

فيها من النعيم ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يتمتع بها من دخلها متاعا حقيقيا حسيا وروحيا

ويحيون فيها حياة أبدية أمنية فلا فناء ولا خروج منها ولا انقطاع لنعيمها ولا نغص ولا كدر.

ثبت هذا بالنصوص القطعية وإجماع أهل العلم والإيمان، في آيات كثيرة، فالواجب على المؤمن أن يهتم بهذا الأمر، وأن يسعى إلى أن يكون من أهلها، ويجتهد وسعه.

والأدلة على أبدية الجنة وعلى دوامها كثيرة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[١٥٣]

ويقول، صلى الله عليه وسلم:« يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ الزخرف: ٧٢»[١٥٤].

يعني تلبسون ثوب الصحة بصورة دائمة لا يصيبكم أي مرض أبدا ـ وربنا عز وجل يقول: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ آل عمران: ١٩٨

قال القرطبي رحمه الله: «نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم إعتراهم. فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ، ولا تطيبهم عن نتن، وإنما هي لذات

---

١٥٣ صحيح مسلم ٢٨٣٦

١٥٤ صحيح مسلم ٣٢٤٦

متوالية ونعم متتابعة: ألا ترى قوله تعالى لآدم عليه السلام: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه: ١١٨ – ١١٩] وحكمة ذلك أن الله تعالى عرفهم في الجنة، وعرّفهم بنوع ما كانوا يتنعمون في الدنيا، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله عز وجل»[١٥٥].

وعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُحِبُّ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ»[١٥٦].

فسبحان الله أهل الجنة يتنعمون، وأعظم نعيم لذة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

قال:«وأهل الجحد عن ربهم يومئذ لمحجوبون، وفي النار يسجرون، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أَن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون. ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور الآية، خلا من شاء الله من الموحدين إخراجهم منها»

فأهل النار مخلدون كما أن أهل الجنة مخلدون، ونعيم أهل الجنة لا ينقطع، وعذاب أهل النار لا ينقطع. وإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عند ذلك يذبح

---

١٥٥ التذكرة للقرطبي: ص ٤٧٥،

١٥٦ صحيح ابن حبان ٧٤٤١ [قال الألباني]: صحيح – "ظلال الجنة" (٤٧٢)، و"تخريج الطحاوية"٢٠٦

الموت، ويقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت. ويبقى ذلك دائما لا انقطاع له، ولا تحول عنه إلى محل آخر.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾ [مريم: ٣٩]، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ [مريم: ٣٩]﴾»[١٥٧]

وقال سبحانه في خلود أهل النار: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧]. وكلمة كلما تقتضي التكرار

وَقَوْله:﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ الأعراف: ٤١

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ التوبة: ٦٨

وقال: ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٥] يعني عذابا مقيما لازما.

---

١٥٧ متفق عليه: البخاري ٤٧٣٠ ومسلم ٢٨٤٩

وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥ ﴾ [الشورى: ٤٥] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ ﴾ الزخرف: [٧٤ – ٧٥] وقال: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠ ﴾ النبأ: ٣٠

ودلت السنة أنه يخرج عصاة الموحدين من النار، وأحاديث الشفاعة نصت على خروجهم من النار، وهذا حكم مختص بهم فلا يخرج الكفار من النار أبدا. وإنما يخرج عصاة الموحدين بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين، ولله در من قال:

وَثَالِثًا يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ ... مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهُدَى الْإِسْلَامِ

وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الْآثَامِ ... فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الْإِجْرَامِ

أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجِنَانِ ... بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْإِحْسَانِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا». ثُمَّ قَالَ: « يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا

نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: « مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن

تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠]، «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ... فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[١٥٨].

وعصاة الموحدين قسمان:

- قسم يعفو الله عز وجل عنه ابتداء، ويدخله الجنة برحمته وفضله.
- وقسم يدخلون النار يعذبون فيها، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[١٥٩].

---

١٥٨ متفق عليه: البخاري ٧٤٣٩ومسلم ١٨٣

١٥٩ متفق عليه: البخاري ٧٤٣٧ ومسلم ١٨٢

[طَاعَة الْأَئِمَّة والأمراء وَمنع الْخُرُوج عَلَيْهِم]

قال رحمه الله : «والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضيا واجتناب ما كان عند الله مسخطا، وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتوبة إلى الله عز وجل كيما يعطف بهم على رعيتهم».

كلام عظيم جدا يقرر فيه المزني منهج أهل السنة في التعامل مع الحكام؛ فنطيع أولى أمرنا المسلمين في المعروف، وإذا أمرونا بمعصية لا نستجيب لهم، ولكن لا نخرج عليهم.

قال:«عند تعديهم»:

يعني إذا ظلموا وتعدوا وأساؤوا، لا نخرج عليهم، بل نصبر على ظلمهم، ونتوب إلى الله عز وجل؛ طمعا أن يغير الله، عز وجل، ما بنا، أي إما أنه يهدي الحكام الظلمة، أو يبدلهم سبحانه عز وجل؛ لأنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء.

عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»[١٦٠].

---

١٦٠ صحيح: مسلم ١٨٤٦

ففي هذا الحديث أن الحكام لو أخذوا حقوقنا، وأكلوها ونهبوا كل شيء واستأثروا علينا، فإننا نصبر ونسمع لهم ونطيع ولا نخرج.

ولذا فالثورات كلها خراب، والواجب الصبر.

ولذا رأينا دعاة الفتنة: كالقرضاوي ومحمد حسان وغيرهما، كل هؤلاء يخالفون أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، فأمروا الناس بالثورات التي أدت إلى الخراب والدمار.

وانظروا أيها الأبناء الأحباء إلى حال اليمن، وحال سوريا، وحال العراق، وحال ليبيا، انظروا إلى البلاد التي قامت فيها الثورات، فإنكم ترون فيها خرابا عظيما جدا.

وعن عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ»[١٦١]

وفي لفظ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ»[١٦٢].

الأثرة: عكس الإيثار. فالإيثار أن تفضل غيرك على نفسك، والأثرة هي الأنانية.

فقال: «سترون بعدي أثرة»: يعني سترون حكاما يختصون أنفسهم بجميع المميزات والسلطات، «وأمورا تنكرونها» تخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

---

١٦١ متفق عليه: البخاري ٣٦٠٣ ومسلم ١٨٤٣

١٦٢ صحيح: البخاري ٧٠٥٢

فلما قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ وهذا من ذكاء وفطنة الصحابة، رضوان الله عليهم، سؤالهم هذا نفعنا نحن؛ لأنهم في زمانهم لم يروا هذه الأثرة، وإنما رؤيت بعد ذلك، في القرون التالية كلها.

فالنبي صلى الله عليه وسلم، يعلمنا جميعا إذا رأينا مثل هذا أن نفعل مثلما فعله الصحابة «أدوا إليهم حقهم واسألوا الله حقكم». نؤدي الواجبات التي علينا، وأما حقوقنا، فإن أعطونا إياها، فالحمد لله، وإن لم يعطونا إياها، صبرنا ونسأل الله عز وجل.

هنا في مصر كانوا يقولون: صبرنا ثلاثين عاما على الرئيس مبارك، كيف نصبر أكثر من هذا؟ فانظر جواب الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه يأمر بصبر دائم ولو امتد إلى يوم القيامة!!!

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاَنًا؟ قَالَ: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»[١٦٣].

فنصبر صبرا دائما مهما تفاقم الظلم، وزاد إلى العدوان الشديد:

قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، رضي الله عنهما: قَالَ: رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ

---

١٦٣ متفق عليه: البخاري ٣٧٩٢ و ٧٠٥٧ ومسلم ١٨٤٥

أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[١٦٤].

لا بد أن نسمع ونطيع أوامر الأمير الأعظم: أي الحاكم، يعني رئيس الجمهورية في البلاد الجمهورية، أو الملوك في البلاد الملكية، أو الأمراء في البلاد التي فيها هي أمراء، مثل الكويت وقطر وغيرها، أو السلاطين كما هو في سلطنة عمان.

وهكذا كل حاكم حسب اللقب الذي يختاره، لا بد أن نسمع له في المعروف، ونصبر على ذلك.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ أَبُو ذَرٍّ، رضي الله عنه، إِلَى الرَّبَذَةِ، لَقِيَهُ رَكْبٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا ذَرٍّ، قَدْ بَلَغَنَا الَّذِي صُنِعَ بِكَ، فَاعْقِدْ لِوَاءً يَأْتِكَ رِجَالٌ مَا شِئْتَ، فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطَانٌ فَأَعْزِرُوهُ، مَنِ الْتَمَسَ ذُلَّهُ، ثَغَرَ ثَغْرَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ حَتَّى يُعِيدَهَا كَمَا كَانَتْ»[١٦٥].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: مَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْزَلَكَ مَنْزِلَكَ هَذَا؟ قَالَ: «كُنْتُ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفْتُ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ فِي: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٤] " قَالَ مُعَاوِيَةُ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الكِتَابِ، فَقُلْتُ: " نَزَلَتْ فِينَا وَفِيهِمْ، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي ذَاكَ، وَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَشْكُونِي، فَكَتَبَ إِلَيَّ عُثْمَانُ: أَنِ

١٦٤ صحيح: مسلم ١٨٤٧

١٦٥ صحيح: السنة لابن أبي عاصم، وصححه الألباني في ظلال الجنة: ١٠٧٩

اقْدَمِ المَدِينَةَ فَقَدِمْتُهَا، فَكَثُرَ عَلَيَّ النَّاسُ حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَبْلَ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِعُثْمَانَ " فَقَالَ لِي: إِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ، فَكُنْتَ قَرِيبًا، "فَذَاكَ الَّذِي أَنْزَلَنِي هَذَا المَنْزِلَ، وَلَوْ أَمَّرُوا عَلَيَّ حَبَشِيًّا لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ"[١٦٦].

وفي رواية: أَوْصَانِي خَلِيلِي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَلَاثٍ: "أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَلَوْ لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ مُجَدَّعِ الْأَطْرَافِ.."[١٦٧].

هذا الحديث فيه النهي عن الثورة والخروج، بل حتى النهي عن إهانة السلطان. بل حتى النهي عن الكلام عن الحكام بأي سوء.

ولذا أيها الطلاب في كل أنحاء الدنيا، ليس لأحدكم أن يتكلم عن الحاكم بأي كلمة سوء، حتى ولو بينك وبين نفسك أو بينك وبين زوجتك، إلا بكل خير ويذكر دائما فضائله. وإن كانت هناك عيوب فلا يذكرها لأحد أبدا.

[الْإِمْسَاك عَن تَكْفِير أهل الْقبْلَة]

قال: «والإمساك عن تكفير أهل القبلة» يعني لا نكفر مسلما أبدا، فمن ثبت له الإسلام، لا يجوز تكفيره أبدا إلا إذا صدر منه الكفر البواح. فالذي يدخل في الإسلام بيقين، لا يخرج منه إلا بيقين أوضح من ضوء الشمس. والحاكم الذي يصدر منه كفر بواح، لا يختلف فيه اثنان، كأن يمزق المصحف علنا، أو يقول: هذا كتاب باطل لن نحتكم إليه، فهنا يكون هذا كفرا بواحا لا يختلف فيه اثنان.

١٦٦ صحيح: البخاري ١٤٠٦

١٦٧ صحيح: ابن حبان ٥٩٦٤ وصححه الألباني] :الصحيحة" (١٣٦٨)

أما المعاصي وتداول الخمور وهذه الأشياء فكلها معاصي لا توجب كفره، بل هو باق على الإسلام.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِه»[١٦٨].

لا تخفروا: يعني لا تخونوا.

فجعل تكفير المسلمين خيانة لله، عز وجل.

حتى لو كان عاصيا، حتى لو كان شاربا للخمر، حتى لو كان مبتدعا؟

نعم: بشرط أن تكون بدعة ليست مكفرة، كبدعة الجهمية أو الشيعة.

فلا نكفر أهل القبلة إلا بما يوجب الكفر لا بكبائر الذنوب.

وتكفير المسلمين خطر عظيم جدا؛ لأنه يفتح المجال لظهور الخوارج الذين يخربون البلاد ويقتلون العباد. والخوارج هم أصحاب أول بدعة ظهرت في الإسلام. وقد خرجوا، وقتلوا أمير المؤمنين، عثمان، رضي الله عنه، ووقع السيف والفتنة من يومها إلى يومنا هذا، وكفروا عليا بن أبي طالب، رضي الله عنه، وخرجوا عليه، وقتلوا من المسلمين الكثير، بل قتلوا عليا، رضي الله عنه.

---

١٦٨ صحيح: البخاري ٣٩١

ومما يبين خطر التكفير ما ثبت عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[١٦٩].

ولا نكفر مسلما مهما كانت جريمته، حتى لو كانت جريمة التجسس.

فعن عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا"، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ صَدَقَكُمْ"، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

---

١٦٩ متفق عليه: البخاري ٥٧٥٣ ومسلم ٦٠

دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[١٧٠].

فغفر الله، عز وجل، له بصدق كونه من أهل بدر. ولذا ابن القيم، رحمه الله، عقد فصلا عن التجسس، وسماه الجس، وقال: وعقوبته القتل؛ لأن عمر رضي الله عنه أراد أن يقتله، ومنعه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه من أهل بدر. فلا نتسرع في تكفير الناس بحال.

وقد يخطيء إنسان فينطق بكلمة كفر، وهو لا يقصد، قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ »[١٧١].

أو يكون جاهلا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ، قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ،

---

١٧٠ متفق عليه: البخاري ٣٠٠٧ و ٤٢٧٤ و ٤٨٩٠ ومسلم ٢٤٩٤

١٧١ صحيح: مسلم ٢٧٤٧

فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ »[١٧٢].

فالله عز وجل عفا عنه؛ لجهله بصفة القدرة.

فالشخص الذي ينطق بكلمة الكفر، قد يكون مخطأ أو جاهلا. ومعظم الناس في بلاد المسلمين إذا سألت أي واحد: أين الله؟ يقول في كل مكان. وهذا كفر، ولكن نعذرهم؛ فهم لا يعلمون، ولا يستحضرون الأدلة بأن الله فوق السموات السبع، جل وعلا.

وقد يكون العبد مكرها على الكفر.

قال البخاري: كِتَابُ الإِكْرَاهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦]، وَقَالَ: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ آل عمران: ٢٨]: «وَهِيَ تَقِيَّةٌ». وَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النساء: ٩٧]- إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٩] وَقَالَ: ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ النساء: ٧٥]: «فَعَذَرَ اللَّهُ المُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ لاَ يَمْتَنِعُونَ مِنْ تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَالمُكْرَهُ لاَ يَكُونُ إِلَّا مُسْتَضْعَفًا، غَيْرَ

---

١٧٢ متفق عليه: البخاري ٣٤٨١ و ٤٢٧٤ و ٤٨٩٠ ومسلم ٢٧٥٦

مُمْتَنِعٍ مِنْ فِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ» وَقَالَ الحَسَنُ: «التَّقِيَّةُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فِيمَنْ يُكْرِهُهُ اللُّصُوصُ فَيُطَلِّقُ: «لَيْسَ بِشَيْءٍ».

فلو أنهم وضعوا السيف في عنقك، وقالوا لك: انطق بكلمة الكفر. فانطق بكلمة الكفر ولا شيء عليك، طالما أن قلبك مطمئن بالإيمان.

قال:«والبراءة منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالا. فَمن ابتدع مِنْهُم ضلالا كان على أهل القبلة خارجا ومن الدين مارقا ويتقرب إلى الله عز وجل بالبراءة منه ويهجر ويحتقر وتجتنب غدته فهي أعدى من غدة الجرب».

نتبرأ من أهل البدع فيما أحدثوه؛ فعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَال رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١٧٣].

فنتبرأ من أهل البدع، ولكن لا نكفرهم. ولذا حين تسمعون انتقاداتنا لمحمد حسان أو ياسر برهامي أو أبي اسحاق الحويني أو القرضاوي أو الشعراوي أو غيرهم، فلسنا نقصد هنا أنهم غير مسلمين، نعوذ بالله، هم مسلمون، وعسى الله أن يعفو عنهم، وقد يدخلهم الجنة، وقد يتوب عليهم في الدنيا. ولكن نتبرأ من بدعهم.

---

١٧٣ صحيح: أبي داود ٤٦٠٧ والترمذي ٢٦٧٦ وابن ماجه ٤٢

قال:«ما لم يبتدعوا ضلالا»: مثل الخوارج مثلا، فقد ابتدعوا ضلالا كبيرا، ومنهجم سبب الخراب والقتل عبر التاريخ. ومثل الرافضة أو المعتزلة والجهمية أو القرامطة أو غيرهم من أهل البدع.

ومن أهل البدع، من هو بدعته كفرية: كالرافضة وكالجهمية،

ومنهم من بدعتهم ليست مكفرة، كالأشعرية وبعض الصوفية، وهؤلاء لا لا نكفرهم، ولكن نتبرأ من فعلهم، ونتبرأ من بدعتهم،ونناصحهم، ونبين لهم الأدلة، ثم نحذر من بدعتهم ونهجرهم.

وهذا الهجران والتبرؤ والمعاداة لأهل البدع المخالفين في الأصول واجب. وعندما نهجرهم، هل ينطبق عليهم أن لا نهجرهم فوق ثلاث؛ لحديث هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاث لَيَالٍ"[١٧٤].؟

فالجواب: لا . فإن الهجران الذي لا ينبغي أن يكون فوق ثلاث هو الخلاف الدنيوي، كأن يختلف رجل مع زوجته، أو أن يختلف أخ مع أخيه على مال، على سوء فهم، على تسرع، على غضب، ونحوه.

أما أهل البدع فإنهم يهجرون حتى يتوبوا ويرجعوا، ولو دام الهجران. قال الشيخ محمد بن عثيمين، رحمه الله:

---

١٧٤ متفق عليه: البخاري ٦٠٧٦ ومسلم ٢٥٥٨

«والمراد بهجران أهل البدع: الابتعاد عنهم، وترك محبتهم، وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، وعيادتهم، ونحو ذلك.

وهجران أهل البدع واجب؛ لقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢]. ولأن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك.

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة، فلا بأس بذلك، وربما يكون ذلك مطلوبا؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهذا قد يكون بالمجالسة، والمشافهة، وقد يكون بالمراسلة، والمكاتبة، ومن هجر أهل البدع: ترك النظر في كتبهم خوفا من الفتنة بها، أو ترويجها بين الناس، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في الدجال: «من سمع به فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»[١٧٥].

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به، وكان قادرا على الرد عليهم، بل ربما كان واجبا؛ لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[١٧٦].

---

١٧٥ صحيح: أبي داود ٤٣١٩

١٧٦ مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/٨٩-٩٠

فإن كان في هجران أهل البدع مصلحة؛ حتى تظهر بدعتهم أو حتى يتوبوا ويرجعوا، أو حتى نتميز عنهم، أو حتى نبين للناس ضلالهم، فهذا واجب بصفة دائمة حتى يرجعوا عن بدعتهم.

[الصَّحَابَة]

قال:«ويقال بفضل خليفة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبي بكر الصديق، رضي اللّه عنه، فهو أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي، صلى الله عليه وسلم. ونثني بعده بالفاروق وَهُوَ عمر بن الْخطاب رَضِي الله عَنهُ فهما وزيرا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وضجيعاه فِي قَبره وجليساه فِي الْجنَّة»

أعظم اثنين في أمتنا، بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هما أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما. وهما وزيرا رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وفضائلهما كثيرة لا تحصى في البخاري ومسلم وغيرهما.

وأما الروافض فيرون أنا أبا بكر وعمر هما أكفر خلق الله، ويقولون إن أول من يدخل النار هو إبليس، فحين يدخل النار يجد صندوقين في داخل النار، فيفتحهما فيجد في أحدهما أبا بكر وفي الآخر عمر!!.

والخوميني من أشد الناس كرها لأبي بكر وعمر وعائشة وحفصة، رضي الله عنهم، وهو زنديق مجرم كافر اخترع للروافض دعاء، يقولونه كل يوم، يقول الواحد منهم: اللَّهُمَّ العن صنمي المدينة وابنتاهما أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة. نعوذ بالله من

الضلال ونعوذ بالله من هذه الزندقة، والرافضة أعدى أعداء الأمة الإسلامية وهم أشد كفرا من اليهود والنصارى.

فأعظم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة هو أبو بكر الصديق، ثم الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، وهما مدفونان معه في قبره، وهما جليساه في الجنة: وليس أدل على محبة الصديق، رضي الله عنه، من قول عَمْرُو بْنُ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: " أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» فَعَدَّ رِجَالًا[١٧٧].

وفي لفظ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "عُمَرُ" فَعَدَّ رِجَالًا، فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ [١٧٨].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ»[١٧٩].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رضي الله عنه، قَالَ: " خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، مُتَعَطِّفًا مِلْحَفَةً عَلَى مَنْكِبَيْهِ، قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ دَسِمَةٍ". ... فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَهُ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى

---

١٧٧ متفق عليه: البخاري ٣٦٦٢ ومسلم ٢٣٨٤

١٧٨ صحيح: البخاري ٤٣٥٨

١٧٩ صحيح: مسلم ٢٣٨٣

عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ"، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رضي الله عنه، وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، بَلْ نَفْدِيكَ بِأَمْوَالِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَوْلَادِنَا، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، هُوَ الْعَبْدَ، الْمُخَيَّرَ"، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: "أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خِلَّتِهِ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا، مِنْ النَّاسِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللهُ، عز وجل، صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ[١٨٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

١٨٠ صحيح: البخاري ٣٤٢٩

مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[١٨١].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ، يَا عَلِيُّ لَا تُخْبِرْهُمَا"[١٨٢].

كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يستشيرهما في كل أموره.

وصاهرهما النبي، صلى الله عليه وسلم، فتزوج عائشة بنت أبي بكر، وتزوج حفصة بنت عمر، رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، فهما وزيراه وصهراه وما كان يفارقهما. فلذا هما ضجيعاه في حجرة عائشة، رضي الله عنها.

قال:«ونثلث بِذِي النورين عُثْمَان بن عَفَّان، رَضِي الله عَنهُ»

ذلك الخليفة الراشد الحيي، الذي تستحي منه الملائكة، وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يستحيي منه.

فعَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ

---

١٨١ متفق عليه: البخاري ١٨٩٧ و ٣٦٦٦ ومسلم ١٠٢٧

١٨٢ صحيح: الترمذي ٣٦٦٦ و٣٦٦٧ وابن ماجه ٩٥

عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْت وَسَوَّيْت ثِيَابَكَ فَقَالَ: "أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ" [١٨٣].

وفي رواية: "إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ "[١٨٤]

وأما قوله «ذو النورين»: فهو لقب بهذا اللقب؛ لأنه الوحيد الذي تزوج من بنتين من بنات رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هما رقية ثم أم كلثوم، رضي الله عنهما.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو، رضي الله عنهما، قَالَ: "أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، أَصَبْتُمْ اسْمُهُ، وَعُمَرُ الْفَارُوقُ، قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَعُثْمَان بْنُ عَفَّانَ، ذُو النُّورَيْنِ، قُتِلَ مَظْلُومًا، وَأُوتِيَ كِفْلَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ"[١٨٥].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ"[١٨٦].

---

١٨٣ صحيح: مسلم ٢٤٠١

١٨٤ صحيح: مسلم ٢٤٠٢

١٨٥ صحيح: الطبراني ج١ص٩٠ ح١٣٩، وصححه الألباني: ظلال الجنة: ١١٥٤

١٨٦ صحيح: البخاري ٣٦٩٧

وعَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ"[١٨٧].

وهو قد قتله الخوارج المنافقون المجرمون، وذبحوه من الوريد إلى الوريد.

قال: «ثمَّ بِذِي الْفضل والتقى عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ»

علي بن أبي طالب، صهر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وابن عمه، وهو الشجاع المعروف، فلم يكن أشجع منه أحد في الصحابة، رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، ولذا لم يجرح في ظهره قط، ولم يول الأدبار قط، وابتلي، رضي الله عنه بالخوارج، وقاتلته الفئة الباغية، فئة معاوية، رضي الله عنه.

وقد انشغل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بحرب الخوارج، وقد أباد الخوارج، كما أمره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم إن بقية منهم قتلوه بعد ذلك، وقاتله هو أشقى الناس. فعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ رَفِيقَيْنِ فِي غَزْوَةِ ذِي الْعَشِيرَةِ....قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ - يَعْنِي قَرْنَهُ - حَتَّى تَبْتَلَّ هَذِهِ مِنَ الدَّمِ - يَعْنِي لِحْيَتَهُ»[١٨٨].

ولذا عبارتي مشهورة دائما أقولها لطلاب العلم:

---

١٨٧ صحيح: البخاري ٣٦٧١

١٨٨ صحيح: مستدرك الحاكم ٤٦٧٩ وصححه الألباني: صَحِيح الْجَامِع: ٢٥٨٩ ، الصَّحِيحَة: ١٧٤٣

الإمام الشهيد الأول في الإسلام هو عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

والإمام الشهيد الثاني في الإسلام هو عثمان، رضي الله عنه.

والإمام الشهيد الثالث هو علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

هؤلاء هم الأئمة الشهداء الثلاثة الأول في الإسلام بفضل الله تبارك وتعالى.

قال: «ثم الباقين من العشرة الذين أوجب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة»

أي: طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وسعيد وأبو عبيدة.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَخْنَسِ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَذَكَرَ رَجُلٌ عَلِيًّا، عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: "عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ" قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ "سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ"[١٨٩].

هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة. لكن طبعا جميع الصحابة بإذن الله في الجنة، كما سبق.

---

١٨٩ صحيح: أبي داود ٤٦٤٩ والترمذي ٣٧٤٨

يقول أبو بكر عبد الله بن أبي داود، رحمه الله:

وَقُلْ: إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ ... عَلِيٌّ حَلِيْفُ الخيرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ

وإِنَّهُمْ لَلرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيهِمُ ... عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بالنُّورِ تَسْرَحُ

سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ ... وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ... ولا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ المبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وَفِي الْفَتْحِ آيٌ للصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

قال: «ثمَّ البَاقِينَ من الْعشْرَة الَّذين أوجب لَهُم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الْجنَّة، ونخلص لكل رجل مِنْهُم من الْمحبَّة بِقدر الَّذِي أوجب لَهُم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من التَّفْضِيل ثمَّ لسَائِر أَصْحَابه من بعدهمْ، رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ وَيُقَال بفضلهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عَن الْخَوْض فِيمَا شجر بَينهم فهم خِيَار أهل الأَرْض بعد نَبِيهم ارتضاهم الله، عز وَجل، لنَبيه وخلقهم أنصارا لدينِهِ فَهم أَئِمَّة الدّين وأعلام الْمُسلمين، فرَحْمَة الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ»

يعني نحن نحبهم جميعا ونفضل من فضل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فنحب الصحابة، ونخلص المحبة لهم، رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فنحن نحبهم لحب الله عز وجل إياهم، والله عز وجل يحب السابقين الأولين من المهاجرين؛ لأنهم جمعوا الإحسان والتقى والجهاد في سبيل الله تبارك تعالى.

وقد أمرنا الله باتباع الصحابة، رضوان الله عليهم؟

قال الله عز وجل:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥]

يجب علينا أن نبين مناقبهم، ونذكر محاسن أفعالهم. ولذا لا تنسوا يا طلاب العلم آية عظيمة جدا، الله عز وجل يخاطب في هذه الآية الصحابة، رضوان الله عليهم، فيقول لهم: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٣٧]يعني إذا آمن الناس أجمعون في مشارق الأرض ومغاربها، في كل زمان من بعدكم. بمثل ما آمنتم به، ﴿ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖ ﴾ [البقرة: ١٣٧] فمن ترك طريق الصحابة، لا بد من الشقاق والخلاف.

والصحابة، رضوان الله عليهم، يحبهم ربنا عز وجل، ومعهم شهادات عليا من الله:

قال عن المهاجرين ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ وقال عن الأنصار ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ

خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٨ – ٩] وقال عنهم جميعا: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [المائدة: ١١٩]

وقال عنهم جميعا: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦] فالصحابة أحق الناس بالتقوى.

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] هذه شهادة من الله بأنهم مخلصون يبتغون الفضل من الله والرضوان، وقد فازوا بفضله ورضوانه

لا سبيل لنا إلا اتباعهم، واتباعهم هو طرق الهدى والفلاح والنجاح والرشاد والصلاح.

قال: «نمسك عن الخوض فيما شجر بينهم»:

يعني من خلافات واقتتال، فهذا أمر أراده، الله عز وجل، ثم قيض الله الحسن بْنُ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأصلح به.

عن أَبِي بَكْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً،

وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ »[١٩٠].

فقد تولى الحسن الخلافة بعد أبيه علي، رضي الله عنهما، ثم رأى أن من المصلحة أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية، رضي الله عنه، فتنازل، وانصلح حال المسلمين. واتفقت كلمتهم، فسمي هذا العام، وهو عام ٤١ للهجرة، بعام الجماعة.

فالخوض بالباطل ممنوع، أما أن نتكلم بصحيح الأخبار ونبين ما حدث فهذا هو المطلوب. ولذا يشكر لابن العربي المالكي في كتاب "العواصم من القواصم" أنه تناول الكلام بالتفصيل في هذه الفتنة، التي حدثت، وبين فضائل الصحابة، رضوان الله عليهم، وأنهم جميعا مأجورون، منهم من له أجران ومنهم من أخطأ وله أجر واحد.

قال:«فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم وارتضاهم الله عز وجل لنبيه»

فإن الله وفق الصحابة لاتباع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وجعلهم أنصارا لدينه، كلهم، لا ينكر فضلهم إلا جاحد.

وما أجمل قول ابن القيم، رحمه الله، في القصيدة الميمية يمدح الصحابة:

أولئك أتباع النبي وحزبه ... ولولاهُمو ما كان في الأرض مسلمُ
ولولاهُمو كادت تميد بأهلها ... ولكن رواسيها وأوتادها هُمُ
ولولاهُمو كانت ظلاما بأهلها ... ولكن هُمُو فيها بدور وأنجُمُ

---

١٩٠ صحيح: البخاري ٢٧٠٤ و ٧١٠٩

الصَّلَاة وَرَاء الْأَئِمَّة وَالْجِهَاد مَعَهم وَالْحج

قال:«وَلَا يتْرك حُضُور صَلَاة الْجُمُعَة وصلاتها مَعَ بر هَذِه الْأمة وفاجرها لَازم مَا كَانَ من الْبِدْعَة بريا، فَإِن ابتدع ضلالا فَلَا صَلَاة خلفه. والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر والحج».

ولا نترك حضور الجمعة : لأن حضور صلاة الجمعة فرض واجب على ذكور هذه الأمة البالغين الأحرار؛ لأن الجمعة من أعظم شعائر الدين وتعد العيد الأسبوعي للمسلمين. فلا بد فيها من حضور جميع المسلمين الذكور الرجال، وهي مقياس للزوم الجماعة ولطاعة الإمام، والذي يتخلف عن صلاة الجمعة بدون عذر ثلاث مرات يختم على قلبه:

فعَنْ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ ، فَهُوَ مُنَافِقٌ "[١٩١].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاث مَرَّاتٍ تَهَاوُنًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ[١٩٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " أَلَا هَلْ عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ الصُّبَّةَ مِنَ الْغَنَمِ عَلَى رَأْسِ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ ، فَيَتَعَذَّرَ

---

١٩١ صحيح: ابن حبان ٢٥٨ ، وصححه الألباني: صحيح موارد الظمآن: ٥٤ ، وصَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٧٢٧

١٩٢ صحيح: الترمذي ٥٠٠ والنساءي ١٣٦٩

عَلَيْهِ الْكَلَأُ فَيَرْتَفِعَ ثُمَّ تَجِيءُ الْجُمُعَةُ ، فلَا يَجِيءُ وَلَا يَشْهَدُهَا، وَتَجِيءُ الْجُمُعَةُ فلَا يَشْهَدُهَا، وَتَجِيءُ الْجُمُعَةُ فلَا يَشْهَدُهَا ، حَتَّى يُطْبَعَ عَلَى قَلْبِهِ " [١٩٣]

وَعَنْ جَابِرٍ، رضي الله عنه، قالَ: " قَامَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، خَطِيبًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: عَسَى رَجُلٌ تَحْضُرُهُ الْجُمُعَةُ وَهُوَ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فلَا يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: عَسَى رَجُلٌ تَحْضُرُهُ الْجُمُعَةُ وَهُوَ عَلَى قَدْرِ مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ فلَا يَحْضُرُهَا ، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: عَسَى يَكُونُ عَلَى قَدْرِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فلَا يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ، وَيَطْبَعُ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ "[١٩٤]

فلا بد من حضورها والصلاة مع الإمام سواء كان هذا الإمام عادلا أو ظالما، يعني تقيا أو فاسقا

قال:«ما كان من البدعة بريئا»:

فإن صلاة الجمعة تصلى خلف البر والفاجر حتى لا يتفرق المسلمون ولا يحدث العداء بينهم. وكان عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، وهو شيخ الصحابة في زمانه، في عام سبعين للهجرة،كان يصلي خلف الحجاج. والحجاج معلوم فسقه وظلمه وفجوره وقتله للمسلمين.

فنصلي خلف كل إمام برا كان أو فاجرا.

---

١٩٣ صحيح: ابن ماجه ١١٢٧

١٩٤ صحيح: أخرجه ابن أبي يعلى ٢١٩٨

ما لم يبتدع بدعة مكفرة، مثل التشيع أو الاعتزال، فإذا حدث فلا صلاة خلفه؛ لأنه لا تصح إمامته. أما غير ذلك مهما كان ظالما أو جائرا أو فاسقا، طالما صح له الإسلام، فإنه تصح الصلاة خلفه بل تجب صلاة الجمعة والعيدين خلفه.

ولذا **قال:**«والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر والحج» :

للحفاظ على بيضة الدين والحج لا بد من أن يكون هو أميرا للحج، إن أراد فلا بد من ذلك. وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم، والسلطان الجائر الذي تجتمع به كلمة المسلمين أولى من تفرق المسلمين وأولى مما حدث في هذه الثورات الإجرامية والخروج على الائمة ما أدى إلى خراب البلاد وإلى ضياع العباد وإلى ما لا تحمد عقباه. فصلوا خلف كل بر وفاجر فعَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: "شَهِدْتُ ابْنَ عُمَرَ، وَالْحَجَّاجُ مُحَاصِرٌ ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَكَانَ مَنْزِلُ ابْنِ عُمَرَ بَيْنَهُمَا، فَكَانَ رُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ مَعَ هَؤُلَاءِ، وَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ مَعَ هَؤُلَاءِ"[١٩٥] .

وعَنْ نَافِعٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، اعْتَزَلَ بِمِنًى فِي قِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَالْحَجَّاجِ فَصَلَّى مَعَ الْحَجَّاجِ"[١٩٦] .

وأما حديثْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَصَلُّوا عَلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَجَاهِدُوا مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ"[١٩٧] .

وهو حديث ضعيف، ولكن العمل عليه باتفاق جميع أهل العلم.

---

١٩٥ (صحيح) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٥٥٩ وصححه الألباني: الإرواء ٥٢٥
١٩٦ (صحيح) أخرجه الشافعي ٣٢٣ وصححه الألباني: الإرواء ٥٢٥
١٩٧ (صحيح) أخرجه البيهقي ٦٨٣٢ وهو ضعيف: ضعيف الجامع ٣٤٧٨

قال ابن قدامة: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَسُئِلَ، عَنْ الرَّجُلِ يَقُولُ: أَنَا لَا أَغْزُو وَيَأْخُذُهُ وَلَدُ الْعَبَّاسِ، إنَّمَا يُوَفَّرُ الْفَيْءُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ قَوْمُ سُوءٍ، هَؤُلَاءِ الْقَعَدَةُ، مُثَبِّطُونَ جُهَّالٌ، فَيُقَالُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَعَدُوا كَمَا قَعَدْتُمْ، مَنْ كَانَ يَغْزُو؟ أَلَيْسَ كَانَ قَدْ ذَهَبَ الْإِسْلَامُ؟ مَا كَانَتْ تَصْنَعُ الرُّومُ؟

وَلِأَنَّ تَرْكَ الْجِهَادِ مَعَ الْفَاجِرِ يُفْضِي إلَى قَطْعِ الْجِهَادِ، وَظُهُورِ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِئْصَالِهِمْ، وَظُهُورِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، وَفِيهِ فَسَادٌ عَظِيمٌ[١٩٨] .

وقال شيخ الإسلام، رحمه الله: «مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْغَزْوُ مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ، وَبِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهُ إذَا لَمْ يَتَّفِقْ الْغَزْوُ إلَّا مَعَ الْأُمَرَاءِ الْفُجَّارِ أَوْ مَعَ عَسْكَرٍ كَثِيرِ الْفُجُورِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ:

إمَّا تَرْكُ الْغَزْوِ مَعَهُمْ فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِيلَاءُ الْآخَرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ ضَرَرًا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَإِمَّا الْغَزْوُ مَعَ الْأَمِيرِ الْفَاجِرِ، فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ دَفْعُ الْأَفْجَرِينَ وَإِقَامَةُ أَكْثَرِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ إقَامَةُ جَمِيعِهَا. فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَكُلِّ مَا أَشْبَهَهَا؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْغَزْوِ الْحَاصِلِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَمْ يَقَعْ إلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ»[١٩٩] .

وترك الصلاة خلفه صلاة الجمعة والعيدين والحج هذا من الخروج.

---

١٩٨ المغني ٩/٢٠٠-٢٠١

١٩٩ مجموع الفتاوى ٢٨/٥٠٦-٥٠٧

[قصر الصَّلَاة وَالِاخْتِيَار بين الصّيام والإفطار فِي الْأَسْفَار]

قال: «وإقصار الصَّلَاة فِي الْأَسْفَار وَالِاخْتِيَار فِيهِ بَين الصّيام والإفطار فِي الْأَسْفَار إِن شَاءَ صَامَ وَإِن شَاءَ أفطر».

والمقصود قصر الصلاة الرباعية: الظهر والعصر والعشاء في السفر. والمعلوم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، ما سافر قط إلا وقصر في الصلاة، وكذلك أبو بكر وعمر، رضي الله، تبارك وتعالى،عنهما، وعثمان رضي الله عنه، كان يقصر في صلاته ولكنه أتم في الحج في منى؛ فعن الزهري أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى من أجل الأعراب؛ لأنهم كثروا عامئذ فصلى بالناس أربعا ليعلمهم أن الصلاة أربع[٢٠٠].

هل هناك مدة محددة؟ الحقيقة لا . وطالما أن الإنسان منطبق عليه وصف السفر فمن حقه قصر الصلاة، ولا تحدد بأيام بعينها بحال من الأحوال. تقصر الصلاة في مسافة السفر. ولا مسافة للسفر في الحقيقة، وإنما بمجرد فراق بيوت القرية العامرة يبدأ الإنسان في قصر الصلاة.

قال: «والتخيير فيه بين الصيام و الإفطار في الأسفار»:

فالإنسان في رمضان، إذا سافر له رخصة الإفطار، فمن شاء صام ومن شاء أفطر. وكان الصحابة، رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، يسافرون مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فمنهم من يفطر ومنهم من يصوم مع النبي، صلّى الله عليه وسلّم، في السفر، ولم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم"،

---

٢٠٠ حسن: أبي داود ١٩٦٤

فعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي رَمَضَانَ، فَمَا يُعَابُ عَلَى الصَّائِمِ صَوْمُهُ، وَلَا عَلَى الْمُفْطِرِ إِفْطَارُهُ"[٢٠١].

فالصواب أن المسافر ينظر في الأيسر له؛ لأن الله يريد بنا اليسر: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

فأحيانا يكون الصوم أفضل، وقد فعله الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، رضي الله عنه، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ، صلى اللهُ عليه وسلَّم، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ اللهِ، صلى اللهُ عليه وسلَّم، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، رضي الله عنه»[٢٠٢].

والصوم لا يشق على الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، هنا؛ لأنه لا يفعل إلا الأرفق والأفضل.

وأحيانا يكون الفطر أرفق به، فيكون الفطر أفضل، والدليل على ذلك، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ، حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: "أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ" [٢٠٣].

---

٢٠١ صحيح: مسلم ١١١٦

٢٠٢ متفق عليه: البخاري ١٨٤٣ ومسلم ١١٢٢

٢٠٣ صحيح: مسلم ١١١٤

[اجْتِمَاع أئِمَّة الْهدى الماضين على هَذِه المقالات]

قال:«هَذِه مقالات وأفعال اجْتمع عَلَيْهَا الماضون الْأَولونَ من أَئِمَّة الْهدى. وبتوفيق الله اعْتصمَ بهَا التابعون قدوة ورضى، وجانبوا التَّكَلُّف فِيمَا كفوا؛ فسددوا بعون الله ووفقوا، لم يَرْغَبُوا عَن الِاتِّبَاع فيقصروا وَلم يُجَاوِزُوهُ تزيدا فيعتدوا فَنحْن بِاللَّه واثقون وَعَلِيهِ متوكلون وَإِلَيْهِ فِي اتِّبَاع آثَارهم راغبون»

يعني المسائل العقدية التي ذكرها اجتمع عليها الماضون والأولون من الأئمة: يعني كلها محل إجماع من أئمة الهدى، الذين هم الصحابة، رضوان الله عليهم، والتابعون وتابعو التابعين بإحسان؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"[٢٠٤].

والتابعون بإحسان اتبعوا طريق الصحابة، رضوان الله تبارك وتعالى عليهم؛ لأن الصحابة كما ذكرنا هم المثال الذي يقتدى بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والله عز وجل وفقهم وسددهم، فوافقُوا الحق وساروا عليه، ولم يرغبوا عن الإتباع فمدحهم الله عز وجل فلم يقصروا بل أكملوا ما عليهم وجاهدوا في الله حق جهاده.

قال:«ولم يجاوزوه تزيدا فيعتدوا»:

يعني أبدا ما تركوا هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، ولم يزيدوا عليه فيبتدعوا ولم يتكلفوا ولذا كانوا على الطريقة الوسطى يسيرون عليها وتنتهى القرون الخيرية

---

٢٠٤ متفق عليه: البخاري ٣٦٥١ و ٦٤٢٩ ومسلم ٢٥٣٣

الثلاثة بعلو شأن المعتزلة في عهد المأمون، وإن بقي أفراد القرن الأخير ومنهم أحمد بن حنبل وغيره حتى أرسوا السنة وصاروا هم الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية.

وتظل إلى يوم الدين من تبعهم على هذا.

قال:«فنحن بالله واثقون وإليه في إتباع آثارهم راغبون» :

نحن أيضا نقول بكلام المزني: نحن بالله واثقون وعليه متوكلون، نرغب إلى الله، تبارك وتعالى، ونرجوه، سبحانه عز وجل، أن يوفقنا لإتباع آثار الصحابة، رضوان الله عليهم والتابعين لهم وتابعي التابعين بإحسان.

نسير على هذا النهج الذي سار عليه أئمة الهدى بعد ذلك وصولا إلى ابن تيمية، رحمه الله، وابن القيم رحمه الله، ووصولا إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وإلى ابن باز وابن عثيمين والألباني والشيخ مقبل والشيخ ربيع، والحمد لله الطائفة الناجية موجودة بإذن الله، وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.

[الْمُحَافظَة على أدَاء الْفَرَائِض والرواتب وَاجْتنَاب الْمُحرمَات]

قال:«فهَذَا شرح السّنة تحريت كشفها وأوضحتها فَمن وَفقه الله للْقِيَام بِمَا أبنته مَعَ معونته لَهُ بِالْقيامِ على أَدَاء فَرَائِضه بِالِاحْتِيَاطِ فِي النَّجَاسَات وإسباغ الطَّهَارَة على الطَّاعَات وَأَدَاء الصَّلَوَات على الاستطاعات وإيتاء الزَّكَاة على أهل الْجِدَّات وَالْحج على أهل الْجِدّة والاستطاعات وَصِيَام الشَّهْر لأهل الصحات وَخمْس صلوَات سنّهَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من بعد الصَّلَوَات صَلَاة الْوتر فِي كل لَيْلَة»

هذا كلام عظيم يختم به هذا المتن العظيم ويبين أن لا بد من صلاح القلوب ولا بد من دراسة العلم الشرعي ودراسة التوحيد ودراسة أثار أسماء الله تبارك وتعالى وصفات الله عز وجل هكذا.

قال: «هذا شرح السنة»: أي: هذا المتن سميته شرح السنة، واجتهدت اجتهادا عظيما، ودققت في بيان السنة وإيضاحها. من اتبع هذا الطريق الذي أوضحته وسار على ما فيه مع إعانة الله عز وجل، فهو نعم المعين جل وعلا، على أداء الفرائض والنوافل وغيرها.

قال:«بِالِاحْتِيَاطِ فِي النَّجَاسَات وإسباغ الطَّهَارَة على الطَّاعَات»

ينبغي للإنسان أن يتحرى الطهارة التامة والبعد عن النجاسات، فيتحرى طهارة البدن وطهارة الثياب وطهارة البقعة التي يصلي فيها.

أما طهارة البدن فلقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾ [المائدة: ٦]

وأما طهارة الثياب فلقوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ ﴾ [المدثر: ٤].

وَقَوْلِهِ،صلى اللهُ عليه وسلَّم، لِلْمَرْأَةِ الَّتِي سَأَلَتْهُ عَنْ دَمِ الْحَيْضِ يُصِيبُ الثَّوْبَ: " تَحُتُّهُ، ثُمَّ تَقْرُصُهُ بِالْمَاءِ وَتَنْضَحُهُ، وَتُصَلِّي فِيهِ "[٢٠٥]

وأما طهارة البقعة فلأَنهِ لما قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[٢٠٦] وَالأَمْرُ يَقْتَضِي الْوُجُوبَ.

قال:«وإسباغ الطَّهَارَة على الطَّاعَات» عن أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، وَكَانَ يَمُرُّ وَالنَّاسُ يَتَوَضَّئُونَ مِنَ المِطْهَرَةِ، قَالَ: أَسْبِغُوا الوُضُوءَ، فَإِنَّ أَبَا القَاسِمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»[٢٠٧].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رضي الله عنهما، قَالَ: تَعَجَّلَ قَوْمٌ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَتَوَضَّئُوا وَهُمْ عِجَالٌ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحُ لَمْ يَمَسَّهَا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ»[٢٠٨]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَلَاةِ بَعْدَ الصَلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ "[٢٠٩].

---

٢٠٥ متفق عليه: البخاري ٢٢٥ ومسلم ٢٩١
٢٠٦ صحيح: البخاري ٢٢٠
٢٠٧ متفق عليه: البخاري ١٦٥ ومسلم ٢٥٢
٢٠٨ صحيح: مسلم ٢٤١
٢٠٩ صحيح: مسلم ٢٥١

قال:«وأداء الصلوات»

لأن الصلاة هي الفريضة الكبرى العملية بعد الشهادتين، فعَنْ ابْنِ عُمَر، رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ "(٢١٠) .

والله عز وجل أمرنا، قال: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١]

قال: «وإيتاء الزكاة على أهل الجدات» يعني الزكاة فرض، وهي الركن الثالث في الإسلام. فرض على أصحاب الجدات: يعني على أصحاب الغنى.

يعني من ملك النصاب وزاد عليه، فإنه لا بد أن يؤدي الزكاة سواء كانت في الإبل أو البقر أو الغنم أو الذهب والفضة أو الزروع. هذه الصدقة تكون حقا للفقراء في مال الأغنياء. ومن لم يؤد الزكاة يقاتله الإمام ويأخذها منه ويأخذ نصف ماله.

فعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ، عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا، عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ لِآلِ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَيْءٌ" (٢١١).

---

٢١٠ متفق عليه: البخاري ٨ ومسلم ١٦

٢١١ حسن: أبي داود ١٥٧٥ والنسائي ٢٤٤٤

قال:«والحج على أهل الجدة والاستطاعات» يعني الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو فرض على كل من استطاع الحج؛ لأن الله عز وجل قَالَ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٧] فلا بد أن يبادر إلى الحج من يملك الزاد والراحلة.

قال: «وصيام الشهر لأهل الصحات» يعني صيام رمضان، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام، فهو فريضة على أهل الصحة يعني فريضة على المقيم الصحيح، أي المسلم غير المريض البالغ المقيم.

يعني غير المسافر فهو فرض عليه، والله عز وجل، قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥

قال:«وخمس صلوات سنها رسول الله صلى الله عليه من بعد الصلوات»

يقصد هنا الصلوات النوافل أو الرواتب المؤكدة.

فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ" قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ،

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ عَنْبَسَةُ: "فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ"، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: "مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ، وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: "مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ"(٢١٢).

وفي رواية: " مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ: أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، صَلَاةِ الْغَدَاةِ"(٢١٣).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السُّنَّةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ: أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ"(٢١٤).

قال:«صلاة الوتر في كل ليلة»

ولم يتركها النبي، صلى الله عليه وسلم، حضرا ولا سفرا.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيّ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى اللهُ عليه وسلَّم: " الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ "(٢١٥).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى اللهُ عليه وسلَّم: " إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، أَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ "(٢١٦).

---

٢١٢ (صحيح) أخرجه مسلم ٧٢٨

٢١٣ (صحيح) أخرجه الترمذي ٤١٥

٢١٤ (صحيح) أخرجه الترمذي ٤١٤ وابن ماجه ٩٤٢

٢١٥ (صحيح) أخرجه أبو داود ١٤٢٢ والنسائي ١٧١٠ وابن ماجه ١١٩٠

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا".

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا" (٢١٧).

وعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، أَوْتِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ" (٢١٨).

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ، قَالَ: "قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ" (٢١٩).

وَعَنْ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"كَانَ يُصَلِّي الْوِتْرَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَلَا يُصَلِّ عَلَيْهَا الْمَكْتُوبَةَ" (٢٢٠).

---

٢١٦ صحيح: أبي داود ١٤١٧ والترمذي ٤٥٣ والنسائي ١٦٧٥

٢١٧ (صحيح) أخرجه مسلم ٧٥٤

٢١٨ (صحيح) أخرجه أبو داود ١٤١٦ و الترمذي ٤٥٣ والنسائي ١٦٧٥ و١٦٧٦ وابن ماجه ١١٦٩

٢١٩ (صحيح) أخرجه مسلم ٧٤٤

٢٢٠ (متفق عليه) الْبَخاريُّ ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٩٥ و ١٠٩٨ ومُسلمٌ ٧٠٠

وله روايات: "فَإِنَّ رسُولَ الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، كَانَ يُوتر عَلَى البعير"

"كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم يصَلِّي في السَّفَرِ عَلَى راحِلَتِه، حَيْثُ توَجَّهَتْ به يُومِئ إيماءً، صَلاَةَ اللَّيلِ، إلاَّ الفرائِض ويُوتِر عَلَى راحِلَته". وكَانَ ابن عمر، رضِيَ اللهُ عنهما، "يُصلِّي عَلَى راحِلَته، ويوتر عَلَيها".

فالوتر من أعظم القربات إلى الله تعالى، وينبغي على المسلم المحافظة عليها وعدم تركها.

قال المرداوي: قَالَ أَحْمَدُ: مَنْ تَرَكَ الْوِتْرَ فَهُوَ رَجُلُ سُوءٍ، لا ينبغي أن تقبل له شهادة. وَأَمَّا قَضَاءُ الْوِتْرِ: فَالصَّحِيحُ مِنْ الْمَذْهَبِ: أَنَّهُ يُقْضَى، وَعَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْأَصْحَابِ .

وما أجمل ما قال ابن القيم، رحمه الله: «وَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ: أَيُّ الصَّلَاتَيْنِ آكَدُ سُنَّةُ الْفَجْرِ أَوِ الْوِتْرُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: وَلَا يُمْكِنُ التَّرْجِيحُ بِاخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ فِي وُجُوبِ الْوِتْرِ، فَقَدِ اخْتَلَفُوا أَيْضًا فِي وُجُوبِ سُنَّةِ الْفَجْرِ، وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ، ابْنَ تَيْمِيَّةَ، يَقُولُ: سُنَّةُ الْفَجْرِ تَجْرِي مَجْرَى بِدَايَةِ الْعَمَلِ، وَالْوِتْرُ خَاتِمَتُهُ. وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي سُنَّةَ الْفَجْرِ وَالْوِتْرَ بِسُورَتَيِ الْإِخْلَاصِ وَهُمَا الْجَامِعَتَانِ لِتَوْحِيدِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَتَوْحِيدِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَتَوْحِيدِ الِاعْتِقَادِ وَالْقَصْدِ، انْتَهَى»[٢٢١].

ووقته ما بين صلاة العشاء والفجر

فعَنْ خَارِجَةَ بْنِ حُذَافَةَ، رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَدَّكُمْ بِصَلَاةٍ هِيَ الوِتْرُ، جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ العِشَاءِ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الفَجْرُ" [٢٢٢].

فيكون الوتر في أي وقت بينهما.

عَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها، قَالَتْ: "مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَأَوْسَطِهِ، وَآخِرِهِ، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ".

---

٢٢١ زاد المعاد ١/٣٠٦

٢٢٢ (صحيح) أخرجه الترمذي ٤٥٢ وابن ماجه ١١٦٨

وفي لفظ: "فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ"[٢٢٣].

ومن ثم، فمن طمع أن يقوم من آخر الليل فالأفضل تأخيره؛ لأن صلاة آخر الليل أفضل، وهي مشهودة، ومن خاف أن لا يقوم آخر الليل أوتر قبل أن ينام، وأقله ركعة

فعَنِ عبدالله بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: أَوْتَرَ مُعَاوِيَةُ بَعْدَ العِشَاءِ بِرَكْعَةٍ، وَعِنْدَهُ مَوْلًى لِابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: "دَعْهُ فَإِنَّهُ قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[٢٢٤].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهما: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْوِتْرُ رَكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ"[٢٢٥].

فإذا اقتصر الإنسان عليها فقد أتى بالسنة... ويجوز الوتر بثلاث وبخمس وبسبع وبتسع. وأكثره إحدى عشرة

فعن عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، كَانَتْ تِلْكَ صَلاَتَهُ - تَعْنِي بِاللَّيْلِ - فَيَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ المُؤَذِّنُ (وفي لفظ: المُنَادِي) لِلصَّلاَةِ"[٢٢٦].

---

٢٢٣ (صحيح) أخرجه مسلم ٧٤٥

٢٢٤ (صحيح) أخرجه البخاري ٣٧٦٤

٢٢٥ (صحيح) أخرجه مسلم ٧٥٢

٢٢٦ (صحيح) أخرجه البخاري ٩٩٤ و ١١٢٣ و ٦٣١٠

وعنها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا" (٢٢٧).

قال:«**وركعتي الفجر**»:

وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يواظب عليهما، ولا يدعهما أبدا، حضراً وسفرا.

قال البخاري: بَابُ تَعَاهُدِ رَكْعَتِي الفَجْرِ وَمَنْ سَمَّاهُمَا تَطَوُّعًا

وقال مسلم: باب تعاهد ركعتي الفجر

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: " لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى شَيْءٍ مِنْ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنْهُ تَعَاهُدًا عَلَى رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ "(٢٢٨).

ولفظ مسلم: "لَمْ يَكُنْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مُعَاهَدَةً مِنْهُ عَلَى الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ".

وعَنْهاَ قَالَتْ: "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ"(٢٢٩).

وعنها، أن النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا". وفي لفظ: "لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا"(٢٣٠).

---

٢٢٧ (متفق عليه) الْبُخَارِيُّ ١١٤٧ و ٢٠١٣ و٣٥٦٩ وَمُسْلِمٌ ٧٣٨

٢٢٨ (متفق عليه) البخاري ١١٦٩ ومسلم ٧٢٤

٢٢٩ (صحيح) أخرجه مسلم ٧٢٤

* ومن فاتته رغيبة الفجر، فيستحب له أن يصليها بعد صلاة الصبح.

فعَنْ قَيْسِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلًا يُصَلِّي بَعْدَ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَلَاةُ الصُّبْحِ رَكْعَتَانِ"، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي لَمْ أَكُنْ صَلَّيْتُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، فَصَلَّيْتُهُمَا الْآنَ،، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[٢٣١].

وفي رواية: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُقِيمَتْ الصَّلاةُ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الصُّبْحَ، ثُمَّ انْصَرَفَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَنِي أُصَلِّي، فَقَالَ: مَهْلا يَا قَيْسُ، أَصَلاتَانِ مَعًا؟! قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ أَكُنْ رَكَعْتُ رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ. قَالَ: فَلا إِذَنْ"[٢٣٢].

وقَوْلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَلا إِذَنْ" أي: فَلا مانع؛ بدليل رِوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ: "فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ".

قال:«ويستحب تخفيفهما، وفعلهما في البيت أفضل» فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: " كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُخَفِّفُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الصُّبْحِ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: هَلْ قَرَأَ بِأُمِّ الكِتَابِ؟"[٢٣٣].

قال:«وصلاة الفطر والنحر» :

---

٢٣٠ (صحيح) أخرجه مسلم ٧٢٥
٢٣١ (صحيح) أخرجه أبو داود ١٢٦٧
٢٣٢ (صحيح) أخرجه الترمذي٤٢٢
٢٣٣ (صحيح) أخرجه البخاري ١١٧١

يوم الفطر مِنْ رَمَضَانَ وَهُوَ أَوَّل يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ

ويوم الأضحى وَهُوَ يوم النحر الْعَاشِرُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ

لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ عِيدٌ غَيْرَهُمَا. فلا عيد المولد النبوي، ولا عيد الأم ولا عيد الحب ولا عيد العمال ولا أي يوم آخر، بل كل ما سمي عيدا، عدا الفطر والأضحى، فهو بدعة ضلالة.

ذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَجَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ

وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى أَنَّهَا فرض عين؛ لِمُوَاظَبَةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيْهَا مِنْ دُونِ تَرْكِهَا وَلَوْ مَرَّةً؛ وَلأِنَّهَا تُؤَدَّى بِجَمَاعَةٍ، فَلَوْ كَانَتْ سُنَّةً وَلَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً لاَسْتَثْنَاهَا الشَّارِعُ، كَمَا اسْتَثْنَى التَّرَاوِيحَ وَصَلاَةَ الْخُسُوفِ.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْإِصْطَخْرِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ والْحَنَابِلَةُ هِيَ فَرْضُ كِفَايَةٍ.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ٢]. وهو أمر والأمر يقتضي الوجوب، ولأن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والخلفاء من بعده كانوا يداومون عليها. فَإِذَا قُلْنَا فَرْضُ كِفَايَةٍ فَامْتَنَعَ أَهْلُ مَوْضِعٍ مِنْ إِقَامَتِهَا قُوتِلُوا عَلَيْهَا كَسَائِرِ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، وَإِذَا قُلْنَا إِنَّهَا سُنَّةٌ لَمْ يُقَاتَلُوا بِتَرْكِهَا كَسُنَّةِ الظُّهْرِ وَغَيْرِهَا، وَقِيلَ يُقَاتَلُونَ لِأَنَّهَا شِعَارٌ ظَاهِر(٢٣٤).

والراجح أنها فرض عين على كل أحد، وأنه يجب على جميع المسلمين أن يصلوا صلاة العيد، ومن تخلف فهو آثم.

---

٢٣٤ شرح النووي لمسلم ١٧١/٦

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: « وَهِيَ فَرْضٌ عَمَلِيٌّ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَرِوَايَةٌ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقَدْ يُقَالُ بِوُجُوبِهَا عَلَى النِّسَاءِ»[٢٣٥].

وقال: فَعُلِمَ أَنَّ الْعِيدَ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ جِنْسِ الْجُمُعَةِ لَا مِنْ جِنْسِ التَّطَوُّعِ الْمُطْلَقِ وَلَا مِنْ جِنْسِ صَلَاةِ الْجِنَازَةِ وَقَوْلُ الْقَائِلِ إنَّ صَلَاةَ الْعِيدِ تَطَوُّعٌ: مَمْنُوعٌ فَإِنَّ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ كَانُوا يَشْهَدُونَ الْعِيدَ مَعَ رَسُولِ اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْقَوْلُ بِوُجُوبِهِ عَلَى الْأَعْيَانِ أَقْوَى مِنْ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ. وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ إنَّهُ تَطَوُّعٌ فَهَذَا ضَعِيفٌ جِدًّا؛ فَإِنَّ هَذَا مِمَّا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَاوَمَ عَلَيْهِ هُوَ وَخُلَفَاؤُهُ وَالْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ، وَلَمْ يُعْرَفْ قَطُّ دَارُ إسْلَامٍ يُتْرَكُ فِيهَا صَلَاةُ الْعِيدِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ. وقَوْله تَعَالَى {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الْأَمْرِ بِالتَّكْبِيرِ فِي الْعِيدَيْنِ أَمْرٌ بِالصَّلَاةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى التَّكْبِيرِ الرَّاتِبِ وَالزَّائِدِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى. وَإِذَا لَمْ يُرَخِّصْ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي تَرْكِهِ لِلنِّسَاءِ فَكَيْفَ لِلرِّجَالِ.

فعَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ: فَلَمَّا قَدِمَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ أَتَيْتُهَا فَسَأَلْتُهَا: أَسَمِعْتِ فِي كَذَا وَكَذَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ بِأَبِي، وَقَلَّمَا ذَكَرَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَتْ: بِأَبِي قَالَ: " لِيَخْرُجِ العَوَاتِقُ ذَوَاتُ الخُدُورِ - أَوْ قَالَ: العَوَاتِقُ وَذَوَاتُ الخُدُورِ، شَكَّ أَيُّوبُ - وَالحُيَّضُ، وَيَعْتَزِلُ الحُيَّضُ المُصَلَّى، وَلْيَشْهَدْنَ الخَيْرَ وَدَعْوَةَ المُؤْمِنِينَ " قَالَتْ: فَقُلْتُ

٢٣٥ الفتاوى الكبرى ٥/٣٥٦

لَهَا: الحُيَّضُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَلَيْسَ الحَائِضُ تَشْهَدُ عَرَفَاتٍ، وَتَشْهَدُ كَذَا، وَتَشْهَدُ كَذَا»[٢٣٦].

وتابعه الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله، وهو اختيار الشيخ الألباني، رحمه الله، قال: «حسبنا الآن حديث أم عطية المتقدم فإنه ليس دليلا على المشروعية فقط، بل وعلى وجوب ذلك عليهن؛ لأمره صلى الله عليه وسلم به. والأصل في الأمر الوجوب، ويؤيده ما روى ابن أبي شيبة في "المصنف" عن أبي بكر الصديق أنه قال: حق على كل ذات نطاق "شبه إزار فيه تكة" الخروج إلى العيدين»[٢٣٧] وسنده صحيح. فهل يقول بهذا من زعم الانتصار للخلفاء الراشدين، وقد قال به أولهم، كما تراه مخرجا مصححا؟...والقول بالوجوب هو الذي استظهره الصنعاني في "سبل السلام" والشوكاني وصديق خان وهو ظاهر كلام ابن حزم وكأن ابن تيمية قد مال إليه في "اختياراته" والله أعلم[٢٣٨].

ووقتها من ارتفاع الشمس إلى الزوال، أي ارتفاع الشمس قيد رمح بعد طلوعها، هو بمقدار ثلث ساعة تقريباً؛ لأن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يفعلها في هذا الوقت.

قال: «وصلاة كسوف الشمس والقمر إذا نزل» من المعلوم أن الشمس والقمر آيتان عظيمتان من آيات الله، مسخران في الكون بأمره، لا يخرجان عن سنتهما المعتادة

---

٢٣٦ (متفق عليه) البخاري ٩٨٠ ومسلم ٨٩٠

٢٣٧ ٢ / ١٨٤

٢٣٨ صلاة العيدين في المصلى هي السنة ١/١٣

إلا بأمره تعالى، وحكمته البالغة في كونه سبحانه؛ لتخويف العباد، وتذكيرهم بقدرته وسلطانه.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه، صَلّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللّٰه، يُخَوِّفُ اللّٰه بِهِمَا عِبَادَهُ، وَإِنّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنْ النّاسِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَصَلُّوا وَادْعُوا اللّٰه حَتّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ"[٢٣٩].

وعَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللَّهَ"[٢٤٠].

وقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، لما كسفت الشمس في عهده، من شدة خشيته لله قد خرج فزعا، يظنّ الساعة قد قامت. وهذا من شدّة شفقته منها.

قال الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله:

«والصحيح: أَنَّ صلاة الكُسُوف فرضٌ واجب، إمَّا على الأعيان؛ وإِمَّا على الكفاية، وأَنَّه لا يمكن للمسلمين أن يَرَوا إنذارَ اللّٰه بكسُوف الشمسِ والقمرِ، ثم يَدَعوا الصَّلاة؛ مع أنَّ أَمَرَ بها، وأَمَرَ بالصدقة والتكبير والاستغفار والعتق والفزع إلى الصلاة، وحصل منه شيءٌ لم يكن مألوفاً مِنْ قبلُ، فكيف تقترنُ بها هذه الأحوالُ

٢٣٩ (متفق عليه) البخاري١٠٤١ ومسلم ٩١١
٢٤٠ (متفق عليه) البخاري ١٠٤٣ ومسلم ٩١٥

مع الأمر بها، ثم نقول: هي سُنةٌ؛ لو تركها المسلمون لم يأثموا. فأقلُّ ما نقول فيها: إنها فرضُ كفاية»[٢٤١].

وقال: فسبب كسوف الشمس أن القمر يحول بينها وبين الأرض؛ فيحجبها عن الأرض، إما كلها أو بعضها، لكن لا يمكن أن يحجب القمرُ الشمسَ عن جميع الأرض؛ لأنه أصغر منها، حتى لو كسفها عن بقعة على قدر مساحة القمر لم يحجبها عن البقعة الأخرى؛ لأنها أرفع منه بكثير، ولذلك لا يمكن أن يكون الكسوف كلياً في الشمس في جميع أقطار الدنيا أبداً، إنما يكون في موضع معين، مساحته بقدر مساحة القمر.

وإذا قلنا بهذا القول المحقق المتيقن: إنَّ سبب كسوف الشمس هو حيلولة القمر بينها وبين الأرض تبيّن أنه لا يمكن الكسوف في اليوم السابع أو الثامن أو التاسع أو العاشر لبعد القمر عن الشمس في هذه الأيام، إنما يقرب منها في آخر الشهر. فالشمس منيرة مبصرة بنفسها، وآية الليل القمر ممحو ليس فيه نور.

إذاً هذا هو سبب كسوف الشمس والقمر، وبه نعرف أنه لا يصح التعبير بقولنا: ذهاب ضوء الشمس.

لكن يمكن أن يصح التعبير في هذا بالنسبة للقمر؛ لأنه إذا حالت الأرض بينه وبين الشمس ذهب نوره؛ لأن أصله جرم مظلم امّحى النور الذي فيه.

---

٢٤١ الشرح الممتع ٨/٤

ويمكن أن نوجه كلام الفقهاء ـ رحمهم الله ـ بأنه ذهاب ضوء أحد النيرين، باعتبار الرؤية، أي: رؤية الناس؛ لأن الناس لا يرون الحاجز بين جرم الشمس أو جرم القمر وهم في الأرض، بخلاف ما لو انحجب ضوؤهما بغمام أو سحاب، فهو معروف.

هذا السبب الذي ذكرته هو السبب الحسي.

لكن هناك سبب شرعي لا يعلم إلا عن طريق الوحي، ويجهله أكثر الفلكيين ومن سار على منهاجهم.

والسبب الشرعي هو تخويف الله لعباده[٢٤٢] ، عَنْ أَبِي مُوسَى، رضي الله عنه، قَالَ: خَسَفَتْ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَزِعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وَقَالَ: "هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ"[٢٤٣].

قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: «قَوْله: "فَأَفْزَعُوا": أَيْ اِلْتَجِئُوا وَتَوَجَّهُوا، وَفِيهِ إِشَارَة إِلَى الْمُبَادَرَة إِلَى الْمَأْمُور بِهِ، وَأَنَّ الِالْتِجَاء إِلَى اللَّه عِنْد الْمَخَاوِف بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَار سَبَب لِمَحْوِ مَا فرط مِنْ الْعِصْيَان ؛ يُرْجَى بِهِ زَوَال الْمَخَاوِف، وَأَنَّ الذُّنُوب سَبَب

---

٢٤٢ الشرح الممتع ٥/١٧٤-١٧٦

٢٤٣ (متفق عليه) البخاري ١٠٥٩ ومسلم ٩١٢

لِلْبَلَايَا وَالْعُقُوبَات الْعَاجِلَة وَالْآجِلَة... وفِيهِ النّدْب إِلَى الِاسْتِغْفَار عِنْد الْكُسُوف وَغَيْره؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يُدْفَع بِهِ الْبَلَاء»[٢٤٤].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله: « ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه أخبر أن الكسوف والخسوف للشمس والقمر يقعان تخويفاً من الله لعباده، وحثاً لهم على مراعاة هذه الآيات، والخوف من الله عز وجل والفزع إلى ذكره وطاعته، وأمر في ذلك بالتكبير والعتاقة والصدقة. وكونها آية تُعرف بالحساب، لا يمنع كونها تخويفاً من الله جل وعلا، وأنها تحذير منه سبحانه وتعالى، فإنه هو الذي أجرى الآيات، كما أن آياته المشاهدة من شمس وقمر ونجوم وحر وبرد، كلها آيات فيها التخويف والتحذير من عصيان الله على هذه النعم، وأن يحذروه وأن يخافوه وأن يخشوه سبحانه، حتى يستقيموا على أمره، وحتى يدعوا ما حرم عليهم»[٢٤٥].

والأفضل الجماعة اقتداء بالنبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بها في جماعة.

حيث يُنادى بأمر الإمام: "الصلاة جامعة".

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "لَمَّا كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نُودِيَ إِنَّ الصَّلاَةَ جَامِعَةٌ"[٢٤٦].

فيكبر ويقرأ الفاتحة وسورة طويلة، ثم يركع ركوعاً طويلا.

---

٢٤٤ فتح الباري ٢/٥٣٤ و٥٤٦

٢٤٥ مجموع فتاوى ابن باز ٣٠ / ٢٨٩-٢٩٠

٢٤٦ (متفق عليه) البخاري ١٠٤٥ و١٠٥١ ومسلم ٩٠١ و ٩١٠

ثم يرفع من ركوعه، ويقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد

ثم يقرأ الفاتحة، وسورة طويلة ويقرأ قراءة طويلة دون التي قبلها

ثم يركع مرة ثانية فيطيل الركوع دون الذي قبله، ثم يرفع من الركوع ويقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ويقف وقوفا طويلاً.

ثم يسجد سجدتين طويلتين، ويطيل الجلوس بين السجدتين.

ثم يقوم إلى الركعة الثانية، فيفعل مثل ذلك من الركوعين وغيرهما، لكن يكون دون الأول في الطول في كل ما يفعل، ثم يتشهد ويسلم.

فتكون أربع ركعات وأربع سجدات.

فعن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

"كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَأَطَالَ القِرَاءَةَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَأَطَالَ القِرَاءَةَ وَهِيَ دُونَ قِرَاءَتِهِ الأُولَى، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ دُونَ رُكُوعِهِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ، فَصَنَعَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُرِيهِمَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلاَةِ"[٢٤٧].

٢٤٧ (متفق عليه) البخاري ١٠٥٨ ومسلم ٩٠١

سئل الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله: «ما الحكم لو كانت الشمس عليها غمام، ونشر في الصحف قبل ذلك بأنه سوف يحصل كسوف بإذن الله تعالى في ساعة كذا وكذا، فهل تصلى صلاة الكسوف ولو لم ير؟

فأجاب: لا يجوز أن يصلي اعتماداً على ما ينشر في الجرائد، أو يذكر بعض الفلكيين، إذا كانت السماء غيماً ولم ير الكسوف ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم علق الحكم بالرؤية، فقال عليه الصلاة والسلام: "فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة"، ومن الجائز أن الله تعالى يخفي هذا الكسوف عن قوم دون آخرينح لحكمة يريدها»[٢٤٨].

قال:«**وصلاة الإستسقاء متى وجب**» إذا خلت الأرض من النبات وجفت.
واحتبس القطر: أي امتنع المطر، ولم ينزل. خرج الناس مع الإمام على هيئة التذلل لله والتخشع له سبحانه يجأرون إليه فزعين داعين.

والأولى أن يخطب ويدعو ثم يصلي بهم ركعتين.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما، قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُتَبَذِّلًا مُتَوَاضِعًا، مُتَضَرِّعًا، حَتَّى أَتَى الْمُصَلَّى، فَرَقَى عَلَى الْمِنْبَرِ- وَلَمْ يَخْطُبْ خُطَبَكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ فِي الدُّعَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ، وَالتَّكْبِيرِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَمَا يُصَلِّي فِي الْعِيدِ"[٢٤٩].

---

٢٤٨ مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٣٠٩/١٦

٢٤٩ (حسن) أخرجه أبو داود ١١٦٥ والترمذي٥٥٨ والنسائي ١٥٠٦ و١٥٠٨

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ"، ثُمَّ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ". ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ، أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: "أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"(٢٥٠).

ويكثر فيها الاستغفار وتلاوة الآيات التي فيها الأمر به

مثل: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ ﴾ [نوح: ١٠] و﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ ﴾ [نوح: ١١] و﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ [هود: ٣]

---

٢٥٠ (حسن) أخرجه أبو داود ١١٧٣

ويحول الناس أرديتهم، وهو أن يجعل الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن، لأنه سنة من فعل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال البخاري، رحمه الله: بَابُ تَحْوِيلِ الرِّدَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَاسْتَسْقَى، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، وَقَلَبَ رِدَاءَهُ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ"[٢٥١].

ويقصد بذلك التفاؤل بقلب الرداء، ليقلب الله ما بهم من الجدب إلى الخصب.

قال الشيخ ابن باز، رحمه الله:

«والسنة أن يحول الرداء في أثناء الخطبة، عندما يستقبل القبلة، فيجعل الأيمن على الأيسر إذا كان رداءً أو " بشتًا " – أي عباءة - يقلبه، وإن كان ما عليه شيء سوى غترة يقلبها، قال العلماء: تفاؤلا بأن الله يحول القحط إلى الخصب، يحول الشدة إلى الرخاء؛ لأنه جاء في حديث مرسل عن محمد بن علي الباقر، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، حول رداءه ليتحول القحط٢٥٢ - يعني تفاؤلا -، وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، حول رداءه لما صلَّى بهم صلاة الاستسقاء، فالسنة للمسلمين كذلك»[٢٥٣].

---

٢٥١ (متفق عليه) البخاري ١٠١١ و١٠١٢ و ١٠٢٦ و١٠٢٧ و٦٣٤٣ ومسلم ٨٩٤

٢٥٢ أخرجه الدارقطني (١٧٩٨) والحاكم ١٢١٦ والبيهقي ٦٤١٨ مرسلا

٢٥٣ فتاوى نور على الدرب ٤٠١/١٣

قال:«واجتناب المحارم» أي أن يجتنب الإنسان كل ما حرم الله، عز وجل عليه؛ لأن هذا علامة الخوف من الله.

قال الذهبي، في مقدمة كتاب الكبائر ص١:

«الكبائر: ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة،والأثرِ عن السلف الصالحين، وقد ضَمِن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات، لقوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ النساء: ٣١] ، فقد تكفَّل اللهُ تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يُدخِلَه الجنة. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الشورى: ٣٧ ، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ النجم: ٣٢] وقال رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم: " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ،كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ،إِذَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ"[٢٥٤].

وقال ابن عباس، رضي الله عنهما: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع، وصَدَق واللهِ ابنُ عباس، وأما الحديث،فما فيه حَصْرٌ لِلكبائر.

والذي يتَّجِه ويقوم عليه الدليل أن: (من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حدٌّ في الدنيا،كالقتل،والزنا،والسرقة،أو جاء فيه وعيدٌ في الآخرة،من عذابٍ،أو

---

٢٥٤ (صحيح) أخرجه مسلم ٢٣٣

غضبٍ،أو تهديدٍ،أو لعنِ فاعلِه على لسان نبيِّنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فإنه كبيرة)..

قال:«والاحتراز من النميمة» يعني البعد التام من النميمة، وهي الوقيعة بين الناس والوشاية بينهم، والإفساد بينهم. والنميمة أخت السحر؛ لأن السحر الذي فيه تعاون مع الشياطين يفرقون به بين المرء وزوجه، والنميمة تفرق بين المرء وزوجه وبين الأخ وأخيه وبين الصديق وصديقه وبين الأب وبنيه، فهكذا.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»[٢٥٥].

وعَنْ أَنَسٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ،صلى الله عليه وسلم: " أَتَدْرُونَ مَا الْعَضْهُ؟ "، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "هِيَ النَّمِيمَةُ، نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ لِيُفْسِدُوا بَيْنَهُمْ "[٢٥٦].

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ، رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ "، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " خِيَارُكُمْ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ، عز وجل، أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ "، قَالُوا: بَلَى

---

٢٥٥ (متفق عليه) البخاري ٢١٣ و ٢١٥ و ٥٧٠٨ ومسلم ٢٩٢

٢٥٦ (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٠٦

يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: " الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ، الْعَنَتَ"[٢٥٧].

قال:«**والكذب**» لأن الكذب هذا من أكبر القادحات في مروءة المرء، وفي عدل المرء. والكذب من علامات المنافقين. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"[٢٥٨].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[٢٥٩].

بل إن الْكَذِبُ فِي الرُّؤْيَا مِنَ الْكَبَائِرِ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ "[٢٦٠]

---

٢٥٧ (صحيح) أخرجه أحمد ٢٧٦٤٠ ، وصححع الألباني: الصَّحِيحَة: ٢٨٤٩، صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب: ٢٦٥٨

٢٥٨ (متفق عليه) البخاري ٣٣ ومسلم ٥٩

٢٥٩ (متفق عليه) البخاري ٦٠٩٤ ومسلم ٢٦٠٦

٢٦٠ (صحيح) أخرجه البخاري ٧٠٤٢

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَتَمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ فَيَأْتِي الْقَوْمَ فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ فَيَتَفَرَّقُونَ فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرِفُ وَجْهَهُ وَلَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ(٢٦١).

وكذلك الْكَذِبُ فِي الْمُزَاحِ؛ فعن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ جَدِّه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ"(٢٦٢).

وانتشار الكذب من علامات الساعة؛ فعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ"(٢٦٣).

قال:«والغيبة» : الغيبة مِنْ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، وحَقِيقَتها ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ "، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ " قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي

---

٢٦١ (حسن): أخرجه أبو داود ٤٩٩٠ الترمذي ٢٣١٥

٢٦٢ (صحيح) أخرجه مسلم ٧

٢٦٣ ((صحيح)): أخرجه الترمذي ٢٣٠٣

أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: " إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ"(٢٦٤).

والْغِيبَةُ مِنَ الْكَبَائِرِ؛ فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢ ﴾ [الحجرات: ١٢] وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم:" الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا....وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ"(٢٦٥)

وَعَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها، قَالَتْ: "قُلْتُ لِلنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ، أَنَّهَا وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا، كَأَنَّهَا تَعْنِي: قَصِيرَةً، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: " لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ"(٢٦٦).

فائدة: الغيبة تجوز في أحيان:

أي: في مواضع معدودة، دلت عليها الأدلة الشرعية، إذا دعت الحاجة إلى ذلك؛ كأن يستشيرك أحد في تزوجه ممن تعرف عنه عيوبه، أو مشاركته، أو يشتكيه أحد إلى السلطان لكف ظلمه والأخذ على يده ـ فلا بأس بذكره حينئذ بما يكره؛ لأجل المصلحة الراجحة في ذلك. وقد جمع بعضهم المواضع التي تجوز فيها الغيبة في بيتين فقال:

---

٢٦٤ (صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٨٩

٢٦٥ (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٨٧٦ وابن ماجه ١٣٣

٢٦٦ (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٨٧٥ والترمذي ٢٥٠٢

الذم ليس بغيبة في ستـــة   متظلم ومعــرف ومحــذر

ولمظهر فسقاً ومستفت ومن   طلب الإعانة في إزالة منكر

أما إذا لم يكن هناك مصلحة راجحة في ذكره بما يكره فإنه يكون من الغيبة المحرمة.

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، رضي الله عنها، قَالَتْ: "ذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَا جَهْمٍ، خَطَبَانِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: « أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، لَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ. وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، وَلَكِنْ انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْد»(٢٦٧).

هل تجوز غيبة الفاسق؟

قالت اللجنة الدائمة: وأما السؤال عن لفظ: "لا غيبة لفاسق"، هل هو حديث أو لا؟ فقد قال الإمام أحمد: منكر، وقال الحاكم والدارقطني والخطيب: باطل.

ولكن دل على أنه لا غيبة لفاسق قد أظهر المعصية ما ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه مُرَّ عليه بجنازة فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ»(٢٦٨). ولم ينكر

---

٢٦٧ (صحيح) أخرجه مسلم ١٤٨٠

٢٦٨ (متفق عليه) البخاري ١٣٦٧ ومسلم ٩٤٩

عليهم ثناءهم على الجنازة شراً التي علموا فسق صاحبها، فدل ذلك على أن من أظهر الشر لا غيبة له.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم"(٢٦٩).

قال:«والبغي بغير الحق»

وَأَصْلُ الْبَغْيِ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ(٢٧٠). فهو الظلم والتعدي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: «سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا دَاءُ الأُمَمِ؟ قَالَ: «الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ" (٢٧١)

وقَوْلُهُ: " حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ " تحذيرٌ شديدٌ من التَّنافُس في الدنيا، لأنها أساسُ الآفات، ورأس الخطيئات، وأصل الفتن.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " كُلُّ ذُنُوبٍ يُؤَخِّرُ اللهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا الْبَغْيَ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، أَوْ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ، يُعَجَّلُ لِصَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْمَوْتِ"(٢٧٢).

---

٢٦٩ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء" (١٩/٢٦)

٢٧٠ تحفة الأحوذي - (ج ٩ / ص ٢٢٢)

٢٧١ (صحيح) أخرجه الحاكم ٧٣١١ وصححه الألباني: صَحِيح الْجَامِع: ٣٦٥٨، الصَّحِيحَة: ٦٨٠

٢٧٢ (صحيح) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٩١ وصحَحه الألبَاني: صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد: ٤٦٠

وفي رواية: " اثْنَتَانِ يُعَجِّلُهُمَا اللهُ فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيُ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ"[٢٧٣].

وَعَنْ أَنَسٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: "بَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيُ، وَالْعُقُوق "[٢٧٤]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعُ اللهَ فِيهِ أَعْجَلُ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عِقَابًا مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ "[٢٧٥].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: :الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"[٢٧٦].

قال:«وأن يقال على الله ما لا يعلم» من أخطر الأشياء أن يفتي الإنسان بغير حق، أو أن يتكلم على الله بغير علم؛ لأن اللَّه، عَزَّ وَجَلَّ، قال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

---

٢٧٣ (صحيح) كنزالعمال ٤٥٤٥٨ وصححه الألباني: صَحِيح الْجَامِع: ١٣٧

٢٧٤ (صحيح) أخرجه الحاكم ٧٣٥٠ وصححه الألباني: صَحِيح الْجَامِع: ٢٨١٠

٢٧٥ (صحيح) أخرجه البيهقي ١٩٦٥٥ وصححه الألباني: صَحِيح الْجَامِع: ٥٣٩١

٢٧٦ (متفق عليه) البخاري ١٠ و ١١ ومسلم ٤٠ و ٤١

قال ابن القيم، رحمه الله: " وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها...

فرتب المحرمات أربع مراتب:

وبدأ بأسهلها وهو الفواحش.

ثم ثَنَّى بما هو أشد تحريما منه وهو الإثم والظلم.

ثم ثَلَّث بما هو أعظم تحريما منها وهو الشرك به سبحانه.

ثم ربَّع ما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[٢٧٧].

من أجل ذلك كثر النقل عن السلف إذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول للسائل: لا أدري. نقل ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما والقاسم بن محمد والشعبي ومالك وغيرهم، وينبغي للمفتي أن يستعمل ذلك في موضعه ويعود نفسه عليه، وقال ابن مسعود: «من كان عنده علم فليقل به، ومن لم يكن عنده علم

---

٢٧٧ (متفق عليه) البخاري ١٠٠ ومسلم ٢٦٧٣

فليقل: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [ص: ٨٦]»[٢٧٨].

فإذا سألك الناس عن شيء وأنت لا تعلم قل لا أعلم، قل لا أدري، قل سأراجع المسألة، ولا تتسرع بالفتوى بغير علم، ستلجم بلجام من نار يوم القيامة!

قال: «كل هذا كبائر محرمات» يعني النميمة والكذب والغيبة.

قال: «والتحري في المكاسب والمطاعم والمحارم والمشارب والملابس»

الإنسان لا بد أن يهتم بتحري الحلال والحرام؛ فيتحرى في كسبه وفي عمله أن يكون عمله حلالا وأن يكون ماله حلالا.

عَنِ النُّعْمَان بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ»[٢٧٩].

ومن أهم أسباب إجابة الدعاء تحري الحلال في المأكل والمشرب؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّها النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

---

٢٧٨ إعلام الموقعين ٢/١٨٥

٢٧٩ (متفق عليه) البخاري ٥٢ – ٢٠٥١ ومسلم ١٥٩٩

ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾
المؤمنون: ٥١] وقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾
[البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ "[٢٨٠].

قال: "واجتناب الشهوات" الإنسان يجب ألا يستسلم لشهواته؛ فإنها داعية لركوب المحرمات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً، أَضَاعُوا الصَلَاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا"[٢٨١].

قَالَ اِبْنُ دَقِيقِ الْعِيد رحمه الله: «فِتْنَةُ الْمَحْيَا: مَا يَعْرِضُ لَلْأَنِسَانِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ مِنْ الِافْتِتَانِ بِالدُّنْيَا، وَالشَّهَوَاتِ. ولذا ثبت عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، يُعَلِّمُنَا هَذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ »[٢٨٢].

---

٢٨٠ (صحيح) أخرجه مسلم ١٠١٥
٢٨١ (صحيح) أخرجه أحمد ١١٣٥٨ وصححه الألباني: الصَّحيحة: ٣٠٣٤
٢٨٢ (صحيح) أخرجه مسلم ٥٩٠

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: «حُجِبَتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (٢٨٣).

أَيْ أَنَّ الشَّهَوَاتِ جُعِلَتْ عَلَى حِفَافَيْ النَّار، وَهِيَ جَوَانِبُهَا، فَالْأَعْمَى عَنْ التَّقْوَى الَّذِي قَدْ أَخَذَتْ الشَّهَوَاتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، يَرَاهَا وَلَا يَرَى النَّار الَّتِي هِيَ فِيهَا، وَذَلِكَ لِاسْتِيلَاءِ الْجَهَالَةِ وَالْغَفْلَةِ عَلَى قَلْبِهِ، فَهُوَ كَالطَّائِرِ يَرَى الْحَبَّةَ فِي دَاخِلِ الْفَخِّ وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ بِهِ، وَلَا يَرَى الْفَخَّ، لِغَلَبَةِ شَهْوَةِ الْحَبَّةِ عَلَى قَلْبِهِ، وَتَعَلُّقِ بَالِهِ بِهَا.[٢٨٤]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: " لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ - عليه السلام - إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ اللهُ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، قَالَ: فَأَمَرَ اللهُ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا "(٢٨٥).

---

٢٨٣ (متفق عليه) البخاري ٦١٢٢ مسلم ٢٨٢٣

٢٨٤ فتح الباري (ج ١٨ / ص ٣١٧)

٢٨٥ (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٥٦٠ والنسائي ٣٧٦٣

ولذا قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء: ٢٧]

قال:«ومن راعى حول الحمى فإنه يوشك أن يواقع الحمى»

وسبق في الحديث: وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ"[٢٨٦].

ولذا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه: ١٣١]

قال:«فمن يسر لهذا فإنه من الدين على هدى ومن الرحمة على رجاء»

إذا يسره الله عز وجل لأن يتقيه تبارك وتعالى، فالله عز وجل ييسره لليسرى. ومن استسلم لشهواته وشبهاته فييسره الله للعسرى.

فمن يسر لهذا يعني لتحري المكاسب والمطاعم والمحارم ويسر لاجتناب داعي الشهوات، فإنه من الدين على هدى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨] فمن فعل هذا يستبشر برحمة الله لأن الله قال: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦]

قال المصنف خاتما رسالته الطيبة هاته:

---

٢٨٦ (متفق عليه) البخاري ٥٢ – ٢٠٥١ ومسلم ١٥٩٩

قال:«ووفقنا الله وإياك إلى سبيله الأقوم» يعني إلى صراط الله المستقيم

قال:«بمنه الجزيل الأقدم» بفضله وبكرمه ونعمته؛ فإن التوفيق كله من الله، والهداية محض فضل من الله، عز وجل. والأقدم: يعني رحمة الله قديمة، وصفاته كلها أولية ومن صفاته الأولية الرحمة والعفو.

قال:«وجلاله العلي الأكرم» ومن صفة الله الجلال فهو ذو الجلال والإكرام.

وهو العلي: وهذا إسم من أسماء الله تبارك وتعالى

الأكرم: وهذا إسم أيضا من أسماء الله تبارك وتعالى

قال:«والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعَلى من قَرَأَ علينا السَّلَام ولا ينال سلام الله الضالين» يعني بالضالين: الكفار. هؤلاء لا ينالهم سلام الله بل ينالهم غضب الله ولعنته.

[الخاتمة]

قال:«والحمد لله رب العالمين » ختم بحمد الله تبارك وتعالى

وصلى الله عليه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فأوصي نفسي وإياكم بتقوى الله تبارك وتعالى وبالحرص على تعلم العلم الشرعي، وبسؤال الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

أمين أمين وصلى اللّٰهُمَّ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس الموضوعات:

المحتويات